حـوزة مـشهـد الـعـلـميّة

(تقريرٌ عن تاريخِها وحاضِرِها)

حـوزة مـشهـد الـعـلـميّة

(تقريرٌ عن تاريخِها وحاضِرِها)

الإمام السيِّد عليّ الحسينيّ الخامنئيّ دام ظله

ترجمة

الشيخ حسن أمهز ـ الشيخ حسنين الجمّال

© جميع حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

ISBN 978-614-440-329-7

[٢٠٢٤م – ١٤٤٥هـ]

العنوان: لبنان – بيروت – سان تيريز - سنتر يحفوفي – بلوك c – ط ٣
تلفاكس: ٠٠٩٦١٥٤٦٢١٩١ - mail: almaarf@shurouk.org

تصميم الغلاف:

نرجس مرعي

تدقيق لغوي وإخراج فنّي:

عبّاس عبد النَّبي درويش

بسم الله الرحمن الرحيم

الفهرس

مقدّمة أمين المؤتمر العالميّ للإمام الرضا عليه السلام ٩

المقدّمة ١٣

القسم الأول: الموقعُ التاريخيُّ والجغرافيُّ لحوزة مشهد العلميّة ٢١

الفصل الأول: بحثٌ عن نشأة مدينة مشهد وماضيها العلميّ والدينيّ ٢٣

الفصل الثاني: تأسيسُ حوزة مشهد العلميّة ٢٩

الفصل الثالث: الموقعيّة الجغرافيّة لحوزة مشهد العلميّة ٤٥

القسم الثاني: حوزةُ مشهد العلميّة؛ تشكيلاتُها وأحوالُها الدراسيّة ٥٧

الفصل الأول: الإدارةُ والنظام الدراسيّ ٥٩

الفصل الثاني: المؤسّسات التابعة للحوزة ٧١

الفصل الثالث: البرامج الدرسيّة في حوزة مشهد العلميّة ٧٧

القسم الثالث: أساتذةُ حوزةِ مشهد العلميّة وطلّابُها ٩٧

الفصل الأوّل: الأساتذة والمدرّسون ٩٩

الفصل الثاني: طلّابُ حوزة مشهد العلميّة ١٠٥

٨

القسم الرّابع: أنْشِطَةُ الحوزة العلميّة، وأثرُ الأحداث الجديدة في الحوزة ١٣٧

الأنشِطةُ التبليغيّةُ والاجتماعيّة ١٣٩

المُلحَقات والإضافات ١٤٣

مقدّمة أمين المؤتمر العالميّ للإمام الرضا عليه السلام

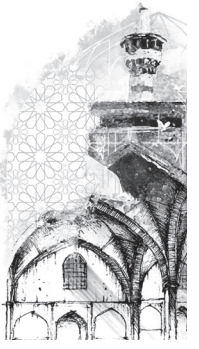

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله ربِّ العالمين، وصلّى اللهُ على خاتمِ النبيِّين محمّدٍ وآله الطاهرين.

والصلاةُ والسلام على قائد الثورة الإسلاميّة، والمرجع الدينيّ الأعلى، مؤسّس الجمهوريّة في إيران، آية الله العظمى الإمام السيّد روح الله الخميني أدام اللهُ ظلَّه على رؤوس المسلمين.

ثمّ الصلاةُ والسلامُ على أرواح الشهداء الكرام، الذين بذلوا مُهَجَهُمْ دون الإسلام. واللعنُ على أعداءِ الدِّين من الأوّلين والآخرين.

اللهمّ انْصُر جيوشَ المسلمين، وعساكِرَ الموحّدين، واخذُل جيوش الملحدين والمشركين...

بعد عقد الندوة التمهيديّة للمؤتمر العالميّ الثاني للإمام الرضا عليه السلام ـ الذي نجح بفضل عنايةِ الإمام الرضا عليه السلام، وجهودِ المسؤول عن العتبة الرضويّة: حُجة الإسلام والمسلمين الشيخ واعظ الطبسيّ، وهمّة الموظَّفين والعلماء والمحقّقين والكتّاب ـ ذهبتُ إلى حُجّةِ الإسلام والمسلمين رئيس الجمهوريّة الحاج السيّد علي الخامنئيّ لإخباره بذلك...

وعندما كانت لجنة الندوة تطرح العناوين والموضوعات المصوّبة التي تعرّض لها الضيوف المحقّقون والعلماء، ذكروا عنوان كتابة تاريخ جامع عن فضائل خراسان الكبيرة ومدينة مشهد المقدّسة و...

وقال السيّدُ الخامنئيُّ: على هذا الأساس، يجبُ أن يُكتَبَ أيضًا عن تاريخ الحوزة العلميّة في مشهد. ثمّ أضاف أنّ له كتابةً في هذا المجال، ستكونُ مفيدةً لهذا المؤتمر إذا وجدها.

وتابعْنا الموضوعَ، حتّى وجدنا في النهاية مسوّدةً من تلك الكتابة، فعمَد المسؤولون عن لجنة الشخصيّة السياسيّة للإمام الرضا عليه السلام إلى تنظيم هذه المسوّدة وتبييضها، حتى مضى الوقت وصارت تقريبًا مؤهَّلةً للطبع. فبُشّرنا بالعثور على أصل النسخة التي بيّضها السيّد الخامنئيّ، فاستُفيدَ منها لأجل الطبع والنشر.

بعد القصّة العجيبة لنسخة رئيس الجمهوريّة التي كان العثور عليها شبه معجزة ومن عنايات الإمام الرضا عليه السلام، التي أُشير إليها في المؤتمر، سُلّمت هذه النسخة إلى مؤسّسة «انتشارات آستان قدس رضوى» لتنشرَها في أسرع وقت.

وكانت هذه الكتابة منطبقة على الواقع الخارجيّ لزمنها. لكنّ الحوزة العلميّة ـ لا سيّما الحوزةَ العلميّةَ في مشهد المقدّسة ـ تغيّرت بعد الثورة الإسلاميّة العظيمة من حيث: البرامج الدراسيّة، وكيفيّة الدراسة، وكمّيّة الشهريّات. بل إنّ كثيرًا من مدارس مشهد قد تهدّمت بسبب توسعة أطراف الحرم أيّام النظام الطاغوتيّ الخبيث، وبعضها قد أُعِيدَ إعمارُه... ولأجل ذلك، طلبنا من السيّد الخامنئيّ أن يكتب لنا مقدّمةً لهذا الكتاب، يشرح لنا قصّته.

ولحسن الحظّ، فقد وافق على طلب المؤتَمَر على الرغم من كثرة انشغالاته. وخلال مدّة قصيرة، كتب لنا مقدّمةً بليغةً ومؤلمةً، بحيث لو سنحت له الفرصة لإكمالها لكانت كتابًا مستقلًّا عن «ألم مخفيّ لطبقة مظلومة ومستضعفة. هذه الطبقة وهذا المجتمع الذي على الرغم من ضعف إمكاناته في ذلك الوقت، لم يغفل للحظة واحدة عن طلب الثورة على ذلك النظام المستكبر». لكنّها بحسب قول السيد الخامنئيّ «شقشقة هدرت...».

وبعد أن استجزنا من الكاتب، أضاف مسؤول لجنة الشخصيّة السياسيّة للإمام الرضا عليه السلام هوامش ـ باختصار وبحسب الضرورة ـ وخاتمة.

ونأمل من الله تعالى أن يتقبّل منّا هذه الخدمة الصغيرة، وأن يعين أهلَ القلم والكتابة، وأن ينهض بهذه الأيدي والأذهان، وألّا يسلبَ الحوزةَ العلميّةَ الراحةَ والاطمئنان، وأن يأخذَ بأيدي العلماء والعاملين والثوريّين إلى الأمام، حتى يبيّنوا لنا الحقائق بشكل مُفصَّل.

وفي ختام المؤتمر العالمي الثاني للإمام الرضا عليه السلام، نتقدّم بالشكر إلى رئيس الجمهوريّة الراعي لهذا المؤتمر، وإلى المسؤول عن العتبة الرضويّة، وإلى الإخوة الفاعلين في لجنة الشخصيّة السياسيّة للإمام الرضا عليه السلام، وإلى مؤسّسة «انتشارات آستان قدس»، وإلى كلِّ من ساهم في طباعة هذا الكتاب وانتشاره. والسلامُ.

أمين المؤتمر العالميّ للإمام الرضا عليه السلام

إسماعيل فردوسي پور

١٤/ ٤/ ٦٥

المقدّمة

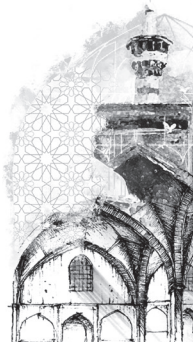

بسم الله الرحمن الرحيم

تعودُ فكرةُ جمعِ المعلوماتِ المذكورةِ في هذا الكتاب إلى سنة ١٣٤٦ هـ. ش، بعد إصرارِ أحد الأصدقاء الجامعيّين في مؤسّسة العلوم الاجتماعيّة (التابعة لجامعة طهران).

لقد قام قسمُ التحقيقات الدينيّة في هذه المؤسّسة بالبحث عن مثل هذا التقرير، فطلب منّي ذلك بعضُ الطلّاب الجامعيّين في هذه المؤسسة بإصرار وإلحاح.

وفي نهاية المطاف ـ على الرغم من كونه عملًا غيرَ مألوفٍ، ولا مكتوبٍ مثلُه ـ قبِلت ذلك، وشرعتُ بالبحث، حتى أعددتُ هذا الكتيّب.

وعندما أرسلته ـ وكان قسمًا من الكتاب فقط ـ إلى المؤسّسة، قرّرت أن أرسل إليهم ما بَقِيَ من الكتابات بشكلٍ سريع. وفي هذه الأثناء، علمت فجأةً[1] أنّ المسؤول عن قسم التحقيقات الدينيّة هو أحدُ المتّهمين بالانحراف السياسيّ والعَقَديّ. فقد مضى ما مضى، وقرّرت تركَ إكمال هذا العمل (أي: الكتابة) وعدم الخضوع للإصرار غير المنقطع.

---

(١) أعلمني بذلك الشهيد مطهّري في حديثٍ معه.

ثمّ وقعت حادثةٌ أخرى فجأةً أيضًا، أخرجت هذه الكتابة من يدي وقلبي، ومنعتني من إكمالها، وهي أنّني سمعتُ أن هذه الكتابةَ ـ التي كانت نسخة واحدة مبيّضة ـ قد ضاعت. وكأنّها كانت مع ذلك المسؤول أثناء سفره ثمّ أضاعها. وقد أخبرنا بذلك أحد المبعوثين المصرّين في هذه المؤسّسة، الذي طلب منّي أن أُعيدَ الكتابة بعد أن ضاعت، أو أن أُعطِيَه نسخة أخرى منها إن كان بحوزتي.

ذلك، ولمّا كنت أعتقد أن هذا الحادثَ عونٌ من الغيب، وكنتُ سعيدًا به، صار لديّ عُذْرٌ لعدم إكمال الكتابة. ولم أقبل أن أعيد الكتابة بحجّة أنّه لا يوجد عندي نسخة أخرى ـ مع أنه كان يوجد لديّ نسخة أخرى ـ. وهكذا، صار العمل الذي أنجزته طيَّ النسيان.

وفي السنة الماضية، وجدتُ أوراقًا مبعثَرةً لهذه الكتابة ضمن أوراق قديمة، فتمنّيتُ أن يُستفادَ منها ـ وقد قضيتُ ساعاتٍ وأيّامًا من عمري معها ـ. وتحقّقتْ هذه الأمنيةُ بفضل جهود مؤسسة «آستان قدس رضوى»، والإخوة العاملين في المؤتمر العالميّ للإمام الرضا عليه السلام...

وفي هذه الأثناء، حدثت واقعةٌ ثالثةٌ غيرُ متوقَّعةٍ فيما يرتبط بهذه الكتابة؛ فقد جاء شخصٌ إلى مكتبي مدّعيًا أنّه يمتلك كتابًا بخطّ يدي، وأنّه لن يسلّمه إلّا إليَّ شخصيًّا! وأخذتُ ـ أنا ومن سمع ذلك ـ هذا الموضوع على محمل الجدّ، وكانت ضريبته أن ألتقيَ به دون تحديد وقتٍ مسبق! لكنّه أصرّ وأراني أوراقًا ـ هي بحسب قوله مصوّرة عن صفحات ذلك الكتاب ـ ... ثمّ أتى بهذه الأوراق كي أطمئنَّ لذلك. هذه الكتابة، وهذا الخطّ... قد رجع إليّ بعد مضيّ ثماني عشرة سنة. لقد كان أمرًا عجيبًا ومُدهِشًا. وليس لديّ الآن وقتٌ لإكمال تلك الكتابة وإعادة النظر فيها،

كما لا أمتلكُ حيويّةَ أيّام الشباب التي تتمّ عملًا ـ كهذا ـ يحتاجُ إلى بحثٍ وتدقيقٍ. بل لا أمتلكُ اليومَ تلك الأصابعَ واليد التي تكتب بشكل منظَّمٍ ومرتّب.

وعاد ذلك الشابُّ المثقّفُ الفاضلُ بعد ساعةٍ إليّ، حاملًا النسخةَ الأصليّةَ التي وجدها في إحدى المكتبات المصادَرة من أحد أتباع النظام السابق، وهو ذلك المسؤولُ آنف الذكر! (إذًا، لماذا ادّعى أنّه أضاعها؟؟). ولمّا رأى اسمي مكتوبًا عليها، لم تسمح له غَيْرَتُه الثوريّةُ أن يترُكَها غريبةً أكثرَ، فأراد أن يوصلَها إليّ. وهو يرجِّحُ أنّ صاحبَ تلك المكتبة قد كتب بخطّ يده على هذا الكتيّب وأثنى عليه، لكنّ ذلك المسؤولَ أتلَفَها حتى لا يبقى منها عينٌ ولا أثرٌ.

وبعد أن حصلت على النسخة الأصليّة، أعطيتها للإخوة في المؤتمر العالميّ للإمام الرضا عليه السلام ليطبعوها بدلَ تلك الأوراق والمسوّدات.

أصبحت اليوم تلك الكتابةُ القصيرةُ والناقصةُ عندي، ولم أكن يومًا أتوقَّعُ أن تحظى بتشريفٍ كهذا.

لكنّها جمعٌ جديدٌ للمعلومات، وهي حصيلةُ جُهْدِ فردٍ واحدٍ ـ لم يساعدْه أحدٌ ـ ليس لديه أيّةُ خبرة في مثل هذا التتبّع والبحث. مضافًا إلى وضع مشهد ووضعي في ذلك الزمان، والجهد الحثيث الذي بذلته؛ فقد قضيت ساعاتٍ أتجوّل بين هذه المدرسة وتلك، أعدّ الحجرات والغرف، وأقرأ الكتيّبات، وأتحاور مع الخدّام والمتصدّين. مضافًا إلى ما تحمّلته من أذى واعتقال، بسبب تهديد مأموري الأوقاف في ذلك الوقت في مشهد[1]

(١) غالبًا ما كان الخُدَّامُ والمتصدّون في المدارس هم مأمورو الأوقاف.

ـ الذين أراهم مقرّبين من جهاز الساڤاك الذين يراقبون الطلّاب ويزجّونهم في السجون كما فعلوا معي ـ ونظرتهم السلبيّة.

وإن وجب أن تكونَ هذه الكتابةُ مشمولةً للُّطف ـ لا أقلّ بنظري ـ فليس لأنّه بُذل الجهدُ فيها، بل لأنّها تعبّر عن ألمٍ مخفيٍّ لطبقة مظلومة ومستضعفة. هذه الطبقة وهذا المجتمع الذي على الرغم من ضعف إمكاناته في ذلك الوقت، لم يغفل لحظةً واحدةً عن طلب الثورة على ذلك النظام المستكبِر. وكأنّ قدرةَ السياسات الحاكمة يجب أن تُجرَّب على ذلك الموجود المستضعَف والمُفعم بالصفاء والإيمان... على الحوزة العلميّة.

فقد كانت تهطُلُ عليها أمطار البلاء والمِحَن من كلّ حَدْبٍ وصَوْب؛ فالفقرُ والعَوَزُ المادّيُّ من جهةٍ، ومن جهةٍ أخرى تحقيرُ المسؤولين عنها، وإهانةُ كلِّ الذين يدافعون عن هذه الثقافة، ومن جهةٍ ثالثةٍ تَعَجْرُفُ بعض المقرّبين من بعض المعمّمين، ومن جهةٍ رابعة عدمُ النزول إلى الميدان لتفعيل القابليّات المُدهِشة والعجيبة، مضافًا إلى الضغط السياسيّ المؤذي والمؤلِم، ووحشيّة النظام في بعض الأحيان.

وصحيحٌ أنّ المستهدَف من وراء هذا كلِّه هو الجميع، إلّا أنّ المؤلمَ هو القلوبُ الطاهرةُ للطلّاب والفضلاء الشباب الذين تعجز القمم الراسية عن غَيْرَتِهِمْ وهمّتهم. فهؤلاء، لم تتلوّث قلوبُهم المفعمةُ بالصفاء والعشق، بل تراهم في بعض الأحيان لا يشعرون بالتعب والألم.

ماذا سوف يتعلّمُ الطالبُ في تلك الأيّام حيث كانت المدارس شبه مهدّمة والحُجُرَات مظلمة؟ ما نعلمُه في الظاهر هو أقلُّ بكثيرٍ ممّا كان في الواقع؛ فلسنا نعلمُ فقرَهُم ودرسَهُم وجهادَهُم بالنحو الذي كان

عليه. فلا يزال ذلك الزمن وأبطاله مجهولين شيئًا ما. فليس هناك تقريرٌ عن الحوزات العلميّة في ذلك الزمن ـ ومنها حوزة مشهد ـ يستطيعُ أن يقدّم بيانًا دقيقًا ـ وإن لم يكن كاملًا ـ عن: علاقة الحوزة وسائر الطبقات الاجتماعيّة، وعن إحساسات مختلف الأفراد في الحوزة، وعن موقع الطلّاب والفضلاء الشباب ودورِهم الخاصّ، وعن حال المدرّسين القدامى والفضلاء المسنّين، وعن وضع الأساتذة الكبار والرؤساء وسائر علماء المدينة.

وهكذا، يكون وضعُ حوزة الفقاهة في الإسلام مجهولًا في أهمّ العصور التي مرّت فيها ـ أي: في الفترة التي واجهت خطرًا كبيرًا وانتصرت، ثم وُفّقت لتنفيذ حاكميّة الإسلام ـ، وليس هناك تقريرٌ حسّيٌّ يبيّن لنا ما جرى في ذلك العصر. فلم يفكّر أحدٌ في فعل ذلك، وإن فكّر بعضهم وخطا خطوةً في هذا المجال، فإنّ خطوته لم تَعْدُ الظواهرَ والقشورَ.

يقينًا، لم تكن الحوزةُ في ذلك العصر كنوّاب وباقريّه وميرزا جعفر وسليمان خان، ولم يكن في المدارس كتابةٌ ـ كهذه ـ ولا حُجُراتٌ ولا ديواناتٌ ولا متصدّون ولا خدّام ولا نظامٌ تعليميٌّ وتربويٌّ كدروس اللغة والفقه والأصول...

وخلال ذلك كلّه، كانت الثقافةُ الخاصّةُ بالحوزات العلميّة والتربية الفاخرة موجودةً لألف سنةٍ، فقد كان فيها: الشعورُ بالمسؤوليّة والعصاميّة والقناعة، ومعرفةُ الدّين وتعاليمه، والروحُ الجدّيّةُ في التعليم والتعلّم، البعيدةُ عن وسوسةِ الحصولِ على شهاداتٍ علميّة وعملٍ ومدخولٍ مادّيٍّ، وأهمّ من ذلك كلّه هو عدمُ الرضوخ لظلم الطواغيت، ولمن هو ضدّ الإسلام. وهذا الأخير تحوّل تدريجيًّا إلى شبكةٍ واسعةٍ معتمِدَةٍ على الإيمان

والعقيدة لمقاومة النظام الظالم، ثمّ صارت تتطوّرُ شيئًا فشيئًا، فاحتضنت مزيدًا من الطلّاب والفضلاء الشباب.

وهذا ما بقي طيَّ الكتمان بسبب محاصرة الحوزة والعلماء، ولم يكن معلومًا بشكلٍ كاملٍ لأحد ـ حتى كثيرٍ من كبار العلماء ـ إلّا لطلّاب الحوزة وعناصرها الأساسيّين. وهذا ما جعل من الحوزة في سنوات الثورة الإسلاميّة حِصْنًا أساسًا للثورة، وغيرَ قابلةٍ للخضوع للنظام المستكبِر، وهدفًا للضربات المؤلمة من ذلك الجهاز الغاشم.

وفي هذه المدارس نفسها: مدرسة نوّاب وخيرات خان وميرزا جعفر، وفي محافل الدروس الكبرى والصغرى، وفي المساجد والمنازل المتواضعة الواقعة في الأزقّة البعيدة، كان الطلّابُ يجتمعون ويتحدّثون ويعقدون الدروس والبحوث. وهناك، كانوا يقرّرون ويَمضون قُدُمًا وتتبلورُ أهدافُهم وتتفتّق حركاتهم. وهناك أيضًا، كانوا يتابعون ما قرّروه بحماسةٍ وروحٍ ثوريّةٍ وعقيدة وإيمان راسخ كالدم الذي يجري في عروق الحوزة.

ويومًا بعد يوم، تبلورت الأفكارُ الثوريّةُ ونَضِجت! فالحوزةُ مثلُ الشجرة الكبيرة، تكون في الربيع مفعمةً بالبركة، وتعيشُ على جذعها الصلب أغصانٌ نديّةٌ وأوراق ناضرة، فتملأ الفضاء نشاطًا وحيويّةً.

وقد كان في ذلك الزمان من يرى هذا كلَّه مُضرًّا وبلا فائدة. وثمّةَ عواملُ مقصودةٌ وغيرُ مقصودةٍ جعلت النظام يؤيّدُهُم ويشجِّعُهُم في ظلّ هذه الظروف الصعبة والخطيرة، ولعلّه كان يرشدُهم إلى ذلك أيضًا... لكنّ الشجرةَ الطيّبَةَ التي نشأت من بركات ربيع الثورة الإسلاميّة، وهداية الكوثر القرآنيّ، استكملت تكامُلَها منقطعَ النظير.

ولا يوجد مكانٌ قد شُرحت فيه تفاصيل هذه الأحداث، ولم تجرِ على أيّ لسان، ومن المؤسف ألّا تُسبَر أغوارُ هذا الفصل المُشرِق والمليء بالعِبَر، وألّا يُشمِّرَ أحدٌ عن ساعد الجدّ للكتابة والحديث عنه.

والكتيّب الذي بين أيديكم، خالٍ من كلّ ذلـك... على الرغم من حضوري بعمق في كلّ أحداث ذلك الزمان، وعلى الرغم من أنّي عشت ذلك بجسدي وروحي. وفي خلال هذا الكتيّب (أو هذا التقرير)، كان يشطح القلم في بعض الأحيان ليكشف عن بعض الأسرار الخفيّة، لكنّ صوتًا من أعماق القلب ـ خشية أن تُفتحَ نافذةٌ خبيثةٌ لأذيّة الغرباء ـ كان يعيدُني لأخطّ الأحداثَ الظاهريّةَ ليس غيرُ. فتبقى التقيّةُ حاكمةً على هذه الأحداث الواقعيّةِ التي لم يفهمها الأعداء ولم يطّلع عليها الأصدقاء. ويجب أن تُفهَمَ هذه التقيّةُ صرخةً مدوّيةً من أعماق الألم. وهذا ما سوف تسمعُه في هذا الكتيّب.

يجبُ أن تتكاتفَ الأيدي والأذهـان والذاكرات وتملأَ هذا الفراغ. وهذا ما لم يفعلْه هذا الكتيّب، لكن بحمد الله ثَمَّ أشخاصٌ يستطيعون أن يقدّموا لنا صورةً واضحة عن تلك الأحداث السابقة... نأمُل تحقُّقَ ذلك بهمّة الإخوة الأعزّاء. والسلامُ.

السيّد عليّ الخامنئيّ

٢٤ شوّال المكرّم ١٤٠٦ ق

القسم الأول:

الموقعُ التاريخيُّ والجغرافيُّ لحوزة مشهد العلميّة

الفصل الأول: بحثٌ عن نشأة مدينة مشهد وماضيها العلميّ والدينيّ

نشأة مدينة مشهد

إنّ ظهورَ مدينة «مشهد» يعودُ في أصله إلى أسبابٍ دينيّة، وذلك بسبب دفن الإمـام الرضا عليه السلام فيها. وهو من أهمِّ أسباب العمران والتوسُّع الذي شَهِدته مدينة «مشهد».

والاسمُ الأصليُّ لمدينة «مشهد» هو «سناباد». وإلى ما قبل سنة ٢٠٢ (أو ٢٠٣، أو ٢٠٤) ق، كانت من توابع «قصبه» أو مدينة «نوقان» الصغيرة. وفي هذه السنة نفسِها دُفن الإمام الرضا عليه السلام في «سناباد». ومنذ ذلك الحين، تبدّل اسمُ تلك المنطقة الصغيرة إلى «مشهد»، وصارت في مدّةٍ قصيرةٍ ـ على أثر اهتمام الناس ـ من المُدُن ذاتِ الشَّأن.

ومع أنّه لا مجالَ للشَّكِّ في أنّ الاهتمام بالمدينة قد زاد في أيّام الحكّام الصفويّين الذين اهتمّوا بنشر التشيُّع وترويجِه بشكلٍ كبيرٍ، إلّا أنّ هذا الاهتمامَ كان موجودًا منذ رحيل الإمام عليه السلام، حيث كان مرقدُه الطاهرُ محلًّا لاهتمام الناس، بل كان محلًّا لاهتمام الحكّام من المذهب السُّنِّيِّ أيضًا. فزيارةُ المرقد ومجاورته، وأحيانًا بناءُ المقام وإصلاحُه ودفعُ الأموالِ عليه، سَاهَمَ في توسُّعِ المدينة وزيادةِ الاهتمام بها.

ينقلُ بعضُ المؤرّخين[١] أنّ السلطان محمود غزنوي، رغم تعصُّبِه ضدَّ الشيعة، أصلح سنة ٤٠٠ ق منطقة «مشهد» عبر حاكم نيشابور آنذاك؛ وذلك بسبب حُلُمٍ رآه. وبعد ذلك بقرن ونصف قرن، في أيّـام حكم السلطان سنجر ووزارة الخواجه نظام الملك، جدّد البناء شخص اسمه شرف الدين أبو طاهر القمّيّ، وكان عامل مرو في الحكومة السلجوقيّة[٢].

في سنة ٨٠٩ ق جاء الملك گوركانى إلى مشهد، فأكرم السادة والمتولّين لتلك البقعة[٣]، وبعد ذلك بمدّة «قامت زوجة الملك گوهرشاد آغا ببناء مسجدٍ ـ هو نفسه المسجد الجامع المعروف حاليًا بمسجد گوهرشاد ـ وسمّته باسمها، وفي الوقت نفسه قام الملك بتزيين الحرم المطهّر»[٤].

وقد أصبحت تدريجيًّا، وفي ظرف عدّة قرون، من المدن المهمّة، وأخذت بالتوسّع بسبب هذه العوامل الدينيّة والمعنويّة، وبسبب غيرها من العوامل، كخصوبة التربة، ووفرة النِّعَم، وقربها من مدينة طوس المعروفة والعظيمة. وهي المدينةُ التي يذكر ابن بطوطة أنّها من أكبر مراكز خراسان آنـذاك[٥]. حتّى إنّه عدّ «مشهد» مدينةً كبيرةً ومكتظّةً بالسكّان[٦]، وكان قد مرّ بها سنة ٧٤٣ ق.

---

(١) **مطلع الشمس**، تأليف محمد حسن خان، صنيع الدولة وزير الطباعة والنشر، ج ٢، ص ٧ و٢٨٢. وقد نقل عن حمد الله مستوفى، وعن الحافظ ابرو، وتذكرة دولت شاه سمرقندى.

(٢) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٥١.

(٣) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢٨٤.

(٤) المصدر نفسه، ج ٢، ص ١٥.

(٥) **ترجمه رحله ابن بطوطه**، محمد على موحد، طباعة ١٣٣٧، ص ٣٩٥.

(٦) المصدر نفسه، ص ٣٩٥.

ومن هنا، يمكنُ لنا الاطمئنانُ إلى عدم دقّة ما ذكره ياقوت (المتوفّى سنة ٦٢٥ ق) في **معجم البلدان** حول «سناباد»، حيث ذكرها باعتبارها قريةً من قرى طوس، دون أن يأتيَ على أيّ ذكر لاسمها الجديد، وهو «مشهد». ونكادُ نطمئنُّ أنّه اقتبس ذلك عن كتب القرن الثالث والرابع الجغرافيّة، من قبيل **المسالك والممالك** للإصطخريّ، وغيرها من الكتب.

ولا نقاشَ في أنّ هجومَ تيمور وتدمير مدينة طوس ـ الذي كان في أواخر القرن الثامن ـ كان له أثرٌ كبيرٌ على عمران مدينة «مشهد».

مذهب أهل مشهد إلى ما قبل الحكم الصفويّ

كان التسنُّنُ مذهبَ أكثرِ الناس في إيران قبل ظهورِ الصفويّين. ولم تكن «مشهد» بمنأى عن هذا المشهد العامّ، على الرغم من كونها محلًّا لدفن أحد أئمّة الشيعة عليهم السلام. ولم تَسْتَطِعْ على مدى سنواتٍ مُتَمَادِيَةٍ أن تَقْبَلَ مذهبَ الأكثريّةِ الذي كان موضعَ تأييدٍ من السُّلطات. وقد أقام جمعٌ كبيرٌ من الشيعة في المدينة لوجودِ مرقدِ الإمام عليِّ بن موسى عليه السلام فيها، لكنّهم على الرَّغم من كَثْرَتِهِمُ النِّسبيَّةِ، إلّا أنّ الغَلَبَةَ الاجتماعيّةَ كانت لمذهب التسنُّن. وقد تعرّض الشيعةُ لمضايقاتٍ مذهبيّةٍ من قِبَل الحكام من أهل السُّنّة؛ فعلى سبيل المثال، في سنة ٨٤٢ ق، أُخِذَ أحدُ علماء مشهد إلى «هرات»، وضُرِبَ عُنُقُهُ بأمرٍ من شاهرخ گوركانى بتهمة الإساءة إلى الخليفة الأوّل والثاني[1].

(١) **مطلع الشمس**، ج ٢، ص ٢٨٦.

وعلى الرَّغم من ذلـك، فـإنّ وجـودَ مرقدِ الإمـام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام في هذه المدينة، قد جعل منها مركزًا لتجمُّع الشيعة؛ ودائمًا كان يجتمع فيها عددٌ كبيرٌ منهم.

وقد ذكر ابنُ بطّوطة ـ في معرض حديثه عن سربداران[١] الذين خطّطوا للإطاحة بمذهب التسنُّن من خراسان ـ شيخًا صالحًا اسمُهُ «حَسَن»، قد عيّنه أتباعُه الثوّارُ للخلافة، وأيّد أعمالَهم، حيث كان مستقرًّا في مشهدِ عليّ بن موسى الرضا عليه السلام[٢]. وهذا الأمرُ مرتبطٌ بأوائل القرن الثامن، قبل سنة ٧٤٨ ق، وهي سنة انقراض سربداران.

وفي موضع آخر، ذكر ابن بطوطة سُكّان مدينة طوس إلى جانب سكّان النجف وكربلاء والحلّة والبحرين وقـمّ و... وذكـر أنّهم من غلاة الشيعة[٣]. وفي موضع ثالث، في معرض حديثه عن وضع مرقد الإمام عليه السلام في مشهد، قال: عندما دخل الرافضة إلى هذا المكان ركلوا قبر هارون وسلّموا على الإمام الرضا عليه السلام... وكان أهل الغرب يعرفون قبر هارون من خلال الشمعدان الفضّيّ[٤].

وهذه كلُّها أدلّةٌ على أنّ مشهد كانت لسنواتٍ طوالٍ مركزًا لاجتماع الشيعة قبل تسلّم الصفويّين الحكم؛ بل كلّما وَجَدَ الشيعةُ الظروفَ مؤاتيةً كانوا يقومون بتظاهرات شيعيّة.

---

(١) وهي حركة لبعض الشيعة في إيران في القرن الثامن. (المترجم)

(٢) **ترجمه رحله ابن بطوطه**، ص ٣٩٠.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٧٧.

(٤) المصدر نفسه، ص ٣٩٦.

الأوضاع العلميّة لمدينة مشهد قبل الحكم الصفويّ

ليس لدينا معلوماتٌ مفصَّلةٌ عن الأوضاع العلميّة لهذه المدينة إلى ما قبل القرن العاشر. فَجُلُّ ما نعلمُه أنّ العالمَ الكبيرَ الشيخ أبا عليٍّ الطبرسيّ (المتوفّى سنة ٥٤٨ ق) ـ وهو من أشهر مصنِّفي الشيعة وقد كتب تفسيرًا في عشرة مجلّدات ـ قد سكن في مشهد وقطع أشواطه العلميَّةَ فيها. وهذه بنفسها قرينةٌ قطعيّةٌ على أنّ الأوضاعَ العلميّةَ لهذه المدينة كانت تتطوّر وتترقّى إلى جانب تطوّر الأوضاع العمرانيّة، وأنّ المدينةَ كانتْ مَحَلًّا لتربية العلماء والفضلاء المشهورين.

وفي معرض حديث ابن بطّوطة عن مرقد الإمام عليّ بن موسى عليه السلام، ذكر المدرسةَ والمسجدَ اللّذَين كانا إلى جانبه[1]. وعلى هذا الأساس، كانت مدينةُ مشهد منذ سنة ٧٣٤ ق ـ وهي سنة زيارة ابن بطّوطة لخراسان ـ تشتملُ على مدرسةٍ ليس لها اليومَ أثرٌ ظاهر. وهذه قرينةٌ أخرى على وجود حوزةٍ علميّةٍ في ذلك العصر.

وثمّةَ قرينةٌ ثالثةٌ تدلُّ على أنّ وجودَ حوزةٍ علميّةٍ في مشهد قبل القرن العاشر كان أمرًا مسلّمًا وقطعيًّا؛ وهي وجودُ مدرستي پريزاد ودو درب. أمّا مدرسة پريزاد فقد بُنِيَت بالتزامُن مع مسجد گوهرشاد الجامع (وذلك حوالي سنة ٨٢١ ق)، وأمّا مدرسة دو درب فقد بُنِيَت سنة ٨٤٣ ق.

ويجبُ ألّا ننسى أنّ البيئةَ العلميّةَ لمدينة مشهد كانت تابعةً لبيئتها الاجتماعيّة والسياسيّة التابعةِ لمذهب التسنُّن. وكان المنهج العلميّ

(١) المصدر نفسه، ص ٣٩٦.

لعلمائها وفقهائها في مسائل الفقه والأصول والكلام والتفسير مختلفًا عن منهج سائر الحوزات العلميّة الشيعيّة. ولعلّ منهجَ الشيخ الطبرسيّ في تفسيره **مجمع البيان** ـ أي: نقل أقوال مفسّري العامّة في ذيل أكثر الآيات ـ مؤشِّرٌ على هيمنة منهج الفكر السُّنّيّ على حوزة مشهد العلميّة.

الفصل الثاني: تأسيسُ حوزة مشهد العلميّة

الحوزة العلميّة منذ الحكم الصفوي إلى أوائل القرن الرابع عشر للهجرة

تقدّمَتِ الإشارةُ إلى أنّ الأوضاعَ الدينيّةَ كانت بيد الحكومة الصفويّة، وهي التي ساعدت في إعمار مدينةٍ مثل مشهد التي هي في أصل نشأتها مَدِينةٌ لعاملٍ دينيٍّ شيعيٍّ، وهو مرقد الإمام الثامن من أئمّة الشيعة عليه السلام. وقد قال صاحب كتاب **زينة المجالس**[1]: إنّ مدينةَ مشهد وصلتْ إلى ذروة عمرانها في زمان الشاه طهماسب الأوّل؛ أي: في أوائل العهد الصفويّ.

ولأجل ذلك تطوّرت الأوضاعُ العلميّةُ والدراسيّةُ في هذه المدينة، وتدريجيًّا صارت حوزتُها العلميّةُ في مصافّ الحوزات الشيعيّة الكبيرة والمشهورة، ثمّ بُنِيَت فيها مدارسُ متعدّدةٌ.

نعم، لا يمكنُنا أن نعيّن بدقّةٍ مبدأَ تأسيس الحوزة العلميّة الحاليّة، لكن من خلال الالتفات إلى ما تقدّم ذكرُه في الفصل السابق ـ أي: هيمنة

---

(١) تأليف مير مجد الدين محمّد. صُنّف هذا الكتاب سنة ١٠٠٤، والنسخة المطبوعة منه غير مرّقمة الصفحات. يتعرّض الفصل الثاني من الجزء التاسع منه لبيان بعض خصوصيّات المدن. والمطلب المذكور في النّصّ قد ورد في هذا الفصل في ذيل «طوس».

مذهب التسنُّن على البيئة العلميّة لمشهد إلى ما قبل القرن العاشر ـ، يجبُ أن نقولَ: إنّ الحوزةَ الفعليّةَ بدأتْ مَعَ بداية القرن العاشر، أي: في أوائل العهد الصفويّ. وعلى الرغم من كون مشهد في القرن العاشر مَحَلًّا لاهتمام كثيرٍ من الناس بسبب طابعها الدينيّ، إلّا أنّ الظاهرَ أنّ حوزتَها العلميّةَ لم تكن مزدهرةً ولم يكن علماؤها المشهورون أو المعروفون مشتغلين بالتدريس فيها. ولعلّه لأجل ذلك لا يتجاوَزُ عددُ مدارِسِها العلميّةِ القديمةِ اثنتين أو ثلاثًا، ولم يُبنَ فيها مدرسةٌ جديدةٌ.

ومن علماء مشهد المعروفين في هذا القرن نذكر: الملّا عبد الشوشتريّ (المتوفّى سنة ٩٩٧ ق) الذي قتله أحدُ الأزبكيّين في «هرات»؛ ومولانا محمّد رستم داري (المتوفّى في أوائل القرن الحادي عشر هجريّ قمريّ) الذي تعدّ رسالته إلى علماء أوزبك ـ التي نقلها بالتفصيل في **مجالس المؤمنين** و**مطلع الشمس** ـ شاهدًا على قدرته العلميّة.

وفي القرن الحادي عشر، تغيّر وضع الحوزة بشكلٍ كبيرٍ، وبدأ علماؤها ومدرّسوها المعروفون بالتدريس. فبُنِيَت العديدُ من المدارس، وصار الطلّاب والمحصلّون يقصدونها من كلّ حَدْبٍ وصَوْبٍ لأجل الاستفادة.

وفي الحقيقة، يمكنُ أن نعتبرَ القرنَ الحاديَ عَشَرَ بدايةً لاكتساب حوزةِ مشهد المكانةَ والأهمِّيّةَ. وفي النصف الثاني من هذا القرن، صارت حوزةُ مشهد من حيث العلماءُ والمدرّسون في مصافّ الحوزات الشيعيّة المهمّة. ومن أجل ذلك، صار يقصدُها الطلّاب من المدن الأخرى، بل المدرّس المشهور محمّد باقر المعروف بالمحقّق السبزواريّ (الذي صنّف كتابين في الفقه: **الذخيرة** و**الكفاية**، والذي كان ملقّبًا في أصفهان بشيخ

الإسلام، وله مقام الرئاسة العلميّة) هاجر إلى مشهد في أواخر هذا القرن، فجدّد بناء مدرسة سميعيّه القديمة ـ التي سمّيت فيما بعد بباقريّه تيمّنًا باسمه، وما زالت إلى الآن على هذه التسمية[١] ـ، واهتمّ فيها بالتدريس وتربية الطلاب.

وقد بُنِيَت أكثرُ مدارس مشهد المهمّة والمعروفة في النصف الثاني من هذا القرن. وخلال فترةٍ قصيرةٍ ـ بين سنة ١٠٥٧ و١٠٩١ ـ بُنِيَت أشهر سبع مدارس[٢] في مشهد وأعيد إعمار ثلاث مدارس قديمة، هي: بريزاد، دو درب، وبالاسر.

وعلى هذا الأساس، بلغت حوزةُ مشهد الذروةَ في نصف القرن الحادي عشر. ومن أبرز علمائها في هذا القرن: الملّا محمّد باقر (أي: المحقّق السبزواريّ المتوفّى سنة ١٠٩٠ ق)، والشيخ محمّد الحرّ العامليّ مؤلِّف كتاب **وسائل الشيعة** المعروف (المتوفّى سنة ١١٠٤ ق). وقد درس هذان العلمان في مدنٍ أخرى، واختارا مدينة مشهد لأجل التدريس والسكن.

وليس لدينا اطّلاعٌ كاملٌ عن أوضاع حوزة مشهد العلميّة في القرنين الثاني عشر والثالث عشر. والظاهر أنّه بعد التطوّر السريع الذي حصل في هذه الحوزة في القرن الحادي عشر ـ لا سيّما في النصف الثاني منه ـ

---

(١) ورد هذا الشرح عن مدرسة باقريّه في **مطلع الشمس**، ج ٢، ص ٣٩٠؛ وفي **فردوس التواريخ**، في ذيل حال الملا محمّد باقر المحقق السبزواريّ. لكن يُستفادُ من الكتابة الموجودة على باب هذه المدرسة أنّها بُنيت في زمن المحقّق السبزواريّ بإجازةٍ منه وبتمويلٍ من الملّا محمّد سميع.

(٢) هذه المدارس السبعُ هي: خيراتخان، عباسقليخان، ميرزا جعفر، نوّاب، حاج حسن، فاضلخان، وپايين پا. وقد تهدّمت المدرستان الأخيرتان أثناءَ توسعة طرقات أطراف الحرم والإصلاحات داخل العتبة الرضويّة سنة ١٣١٠ش.

لم تستطعْ هذه الحوزةُ أن تستمرَّ بالتكامُلِ والتطوّرِ بنفس الوتيرة، لكي تصبحَ في مصافّ الحوزات الشيعيّة من الطراز الأوّل. ولعلّ أحدَ أسباب هذا التوقّفِ عن التكامل هو وجودُ حوزةِ أصفهان العلميّة ذات المدارس المعمورة والأساتذة الكبار والشهرة العظيمة في المجتمع الشيعيّ في ذلك العصر.

ويُحتَمَلُ قَوِيًّا أن تكونَ حوزةُ مشهد في هذين القرنين في عداد حـوزات المقدّمات، حيث يـدرس الطلّابُ فيها مقدارًا من مراحلهم الدراسيّة، ثمّ يهاجرون إلى أصفهان أو النجف من أجل متابعة دراستهم والمشاركة في دروس الأساتذة الكبار.

وفي معرض حديث صاحب كتاب **تاريخ علماء خراسان**[1] عن المولى محمّد صالح الترشيزيّ (المتوفّى سنة ١١٦٠ ق) ـ الذي قال فيه: إنّه أحد علماء خراسان الكبار في عصره وإنّه ذو مقامٍ مرموقٍ في علوم المعقول والمنقول ـ يقول: «أتقن المبادئ في خراسان، ثمّ سافر إلى أصفهان مدةً طويلةً حيث استفاد من أساطين الفنّ في تحصيل الأخبار ودراسة الآثار وسائر الفنون...». وقد ذكر نظيرَ هذه العبارة في عدد من علماء مشهد من مثل: الميرزا فضل الله الطبسيّ (المتوفّى سنة ١٢٤٠ ق)، والمولى محمّد جعفر الترشيزيّ (المتوفّى سنة ١٢٤٤ ق)، والمولى محمّد السبزواريّ (المتوفّى سنة ١٢٤٨ ق). وهذا ما لا يُبقي مجالًا للشّكِّ في أنّ علماء مشهد الكبار في القرنين الثاني عشر والثالث عشر قد درسوا مقدّماتهم في حوزة مشهد، ثمّ سافروا إلى الحوزات الكبرى في أصفهان

(١) صنّف هذا الكتاب المُلّا عبد الرحمن المدرّس الأول في العتبة الرضويّة، سنة ١٢٩٤ ق، بطلب ناصر الدينشاه.

والنجف من أجل إكمال دراستهم، ثمّ الرجوع إلى مشهد بعد أن يكونوا قد وصلوا إلى مرحلة النُّضج العلميّ.

ولو فرضنا أنّه لم يكن المرادُ من خراسان في الكلام السابق حَوْزَةَ مشهد فقط، وأنّ الأشخاص المذكورين قد درس كلٌّ منهم مقدّماته في الحوزة العلميّة التابعة للمدينة التي وُلِدَ فيها، فإنّ هذا يؤكِّدُ تصنيفَنا لحوزةِ مشهد على أنّها حوزةُ مقدّمات في هذين القرنين. ومن أجل ذلك، تجدُ طلّابَ المدن الصغيرة في خراسان ـ مثل ترشيز وطبس وتربت وسبزوار ـ يهاجرون إلى حوزةِ النجف وأصفهان لإكمال مراحلهم العلميّة، ولا يقصدون حوزة مشهد العلميّة على الرَّغم من قرب مسافتها. والسرُّ في ذلك: أنّ حوزةَ مشهد لم تكن حوزةً مهمّة ومشهورةً، بل كانت في عداد حوزات المقدّمات.

وقد ذكر كتاب **تاريخ علماء خراسان** ـ الذي يتعرّض لحياة بعض علماء خراسان في القرن الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر للهجرة ـ حياةَ عددٍ كثيرٍ من الأفراد الذين يسكنون في بعض مدن خراسان الصغيرة مثل: تون (فردوس)، ترشيز (كاشمر)، الذين درسوا في هذه المدن، ولم يسافروا إلى مشهد. وانطلاقًا من وجود حوزة علميّة في أكثر مدن ذلك العصر ـ ذات وضع مناسب لهذه المدن ـ وأنّه كان يعيشُ بعضُ العلماء والفقهاء الكبار في كلّ مدينة، يَتَّضِحُ لدينا أنّ حوزة مشهد العلميّة لم تكن ذات شهرة وأهمّيّة بحيث يتحتّم على طلّاب العلوم الدينيّة المهاجرةُ إليها فيتخرّجَ كلُّ علماء خراسان منها.

وأشهرُ علماء مشهد في القرن الثاني عشر هم: إمامُ الجمعة الشيخ حسين مدرّس (المتوفّى في أواخر القرن الثاني عشر للهجرة)، ومدرّس

العتبة الرضويّة الشيخ محمّد، وإمام الجمعة السبزواريّ السيّد محمّد (المتوفّى سنة ١١٩٨ ق).

وعددُ العلماء المشهورين في القرن الثالث عشر أكثرُ من عدد علماء القرن الثاني عشر للهجرة. وهذا ما لا يعني ازدهار الحوزة في هذا القرن؛ لأنّ أكثرَهم أنهى تحصيلَه العالي في حوزة النجف (التي بلغتْ ذروةَ عطائها في ذلك العصر)، أو في حوزة أصفهان العلميّة، وما درسوا في مشهد إلّا المقدّمات. وبعد أن عادوا إلى مشهد، اهتمّ عددٌ كبير منهم بالأمور الشرعيّة وأداء الوظائف الاجتماعيّة، وتصدّى عددٌ قليلٌ منهم للتدريس وإدارة الحوزة.

وبناءً على توصيف السائح الإنجليزيّ فريزر (الذي أتى إلى مشهد بين سنة ١٨٢٦ و١٨٢٨ م؛ أي: في أواسط القرن الثالث عشر للهجرة) للحوزةِ العلميّةِ ووضعِ مدارِسِها[١]، يبدو أنّ الحوزة لم تكن في ذلك الزمان مزدهرةً وأنّ عدد طلابها كان قليلًا بالنسبة إلى عدد العلماء فيها. ويرى فريزر أنّ عددَ طُلّاب مشهد الذين يسكنون في أربع عشرة مدرسةً يبلُغُ خمسمئةَ طالبٍ على أقصى تقدير، والحالُ أنّ عددَ علماءِ هذه المدينة في ذلك الزمان ـ بِحَسَبِ قول السيد كنولي الذي زار مشهد سنة ١٨٢٣ م ـ يصلُ إلى مئةِ عالمٍ تقريبًا[٢].

وأشهرُ عالمٍ في مشهد في أوائـل هذا القرن هو الميرزا مهدي المعروف في خراسان بالشهيد الثالث. وقد تولّى رئاسة العلماء، وكان له

(١) **مطلع الشمس**، ج ٢، ص ٢٥-٢٩.

(٢) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٣٨.

نفوذٌ واقتدار في مشهد. وكان مشهورًا بعلمه في كلّ مدن إيران؛ حتى إنّه كان يُعَدُّ من كبار علماء الشيعة. وقد شارك الشهيد الثالث في درس أكابر علماء النجف ووصل إلى المراتب العلميّة العالية، ثمّ رجع إلى مشهد وتصدّى لأداء وظائف العلماء وإدارة الحوزة وإمامة الجمعة. وفي سنة ١٢١٨ ق استشهد على يد نادر ميرزاى افشارى.

أمّا سائر علماء مشهد المعروفين في هذا القرن، فهم:

- الحاج الميرزا هداية الشهيديّ (المتوفّى سنة ١٢٤٨ ق).
- المولى محمّد علي فديشه اى.
- الحاج الميرزا معصوم الرضويّ (المتوفّى سنة ١٢٣٢ ق).
- السيّد محمّد قصير الذي صنّف أكثر من كتاب في علم الفقه (المتوفّى سنة ١٢٥٥ ق).
- الحاج الميرزا حسن الرضويّ (المتوفّى سنة ١٢٧٨ ق).
- الحاج الميرزا عناية الله اَبَرسَجى (المتوفّى سنة ١٢٨١ ق).
- الميرزا نصر الله مدرس الشيرازيّ (المتوفّى سنة ١٢٩١ ق).
- الحاج الميرزا نصر الله التربتيّ (المتوفّى سنة ١٢٩٨ ق).

ولا يختلفُ كثيرًا وضعُ حوزةِ مشهد العلميّةِ في أوائل القرن الرابع عشر للهجرة عن القرنين السابقين، وقد بقيت الأوضاع العلميّة على نفس المنوال.

وبعد أن زار محمّد حسن خان صنيع الدولة مشهد سنة ١٣٠٢ ق، ذكر في كتابه **مطلع الشمس** ـ الذي خصّص الجزء الثاني منه لذكر أحوال مدينة مشهد ـ اسم ثماني عشرة مدرسةً علميّةً في مشهد لم يبقَ لبعضها أثرٌ يُذكر في يومنا الحاضر، ثمّ قال: لا يوجدُ بعد أصفهان مدينة في مملكة إيران المحروسة تحوي على بناء جميل كمدارِسِ مدينةِ مشهد.

ومن العلماء المعروفين في ذلك الزمن، نذكر:

- الشيخ محمد رحيم البروجرديّ (المتوفّى سنة ١٣٠٩ ق) مؤلّف كتاب **جوامع الكلم**، وهو شرح لقواعد العلّامة.
- الشيخ محمد تقي البجنورديّ المعروف بالتقوى والزهد (المتوفّى سنة ١٣١٤ ق).
- الشيخ إسماعيل كوهسرخي، وهـو رئيس الحوزة العلميّة (المتوفّى سنة ١٣٢٣ ق).
- الشيخ حسن علي الطهرانيّ (المتوفّى سنة ١٣٢٥ ق)، وهو من طلّاب الميرزا الشيرازيّ الكبير.

الوضع العلميّ للحوزة من القرن ١١ حتى أوائل القرن ١٤

يظهر من القرائن أنّ حوزةَ مشهد العلميّة ـ على الرَّغم من ازدهارها في القرن الحادي عشر وما بعده ـ لم تكن بارزةً في فرع علميّ محدّد، بل كانت تُدرّس علوم الفقه والحكمة واللغة بشكل متساوٍ تقريبًا. وكان كثيرٌ من علماء مشهد مطّلعين على علوم الحكمة واللغة، وبعضهم على الرياضيّات، مضافًا إلى تخصّصهم في علم الفقه، حتى إنّهم كانوا يُدرّسون

في بعض الأحيان الكتب الخاصّة بهذه العلوم. ولمّا كان الطلّاب يقيمون في هذه الحوزة، فقد كانوا يدرسون العلوم العقليّة والنقليّة بشكل متساوٍ تقريبًا[١].

ولا بدّ من الالتفات إلى أنّ الركنَ الأساسَ في حوزةِ مشهد العلميّة ـ وفي سائر الحوزات أيضًا ـ على مرّ العصور هو علم الفقه، فكان جُلُّ اهتمام الأساتذة والطلاب منصبًّا على دراسة هذا العلم. ولذلك تجدُ في كتاب **تاريخ علماء خراسان** أسماء بعض الأشخاص الذي تخصّصوا في هذا العلم فقط، أو لم يكونوا معروفين في غيره.

لكن نكادُ نطمئنُّ أنّ هذه الحوزةَ في أواخر القرن الثالث عشر وأوائل القرن الرابع عشر صارت مستثناةً من هذا الحكم، فازدادَ رواجُ العلوم العقليّة واللغة في تلك الفترة أكثرَ من الفقه والعلوم النقليّة. وفي أواخر النصف الأول من القرن الرابع عشر، درّس في هذه الحوزة أديبٌ مشهور وعدّة أساتذة متخصّصين في الحكمة. ومن الطبيعيّ أنّ وجود مثل هؤلاء الأساتذة يستلزمُ أن تكون حوزةُ مشهد قد اهتمّت بهذه العلوم في نصف القرن السابق.

---

(١) انظر: كتاب **تاريخ علماء خراسان** للملّا عبد الرحمن مدرس الشيرازيّ، ص ٤٦، ٥٠، ٥١، ٥٤، ٥٥، ٦٣، ٧٢، وهي في ذيل ما يلي: ميرزا قاسم السبزواريّ المتوفّى في أوساط القرن ١٢ ق، الشيخ حسين مدرس المتوفّى في أواخر القرن ١٢ ق، أبو محمّد مدرس المتوفّى سنة ١٢٤٠ ق، مولانا محمد رضا الترشيزيّ المتوفّى سنة ١٢٠٠ ق، الميرزا أبو طالب المتوفّى سنة ١٢١٦ ق، الميرزا مهدي شهيد المتوفّى سنة ١٢١٨ ق، مولانا إسحاق التربتيّ المتوفّى سنة ١٢٣٧ ق، مولانا محمّد على فديشه اى... وغيرهم.

وفي هذا المجال، يقول صاحب كتاب **مطلع الشمس** الذي زار مشهد سنة ١٣٠٢ ق واطّلع على أحوال الحوزة عن قُرب: غالبًا ما كان يميلُ الطلّاب نحو العلوم العقليّة واللغويّة[١].

حوزة مشهد العلميّة في الفترة السابقة

مرّ سابقًا أنّه لا يوجدُ اختلافٌ مهمٌّ بين أوضاعِ حوزةِ مشهد العلميّة بين القرن الرابع عشر الهجريّ وبين الفترة المتقدّمة عليها. فمنذ بداية القرن السابق، بدأ وضع الحوزة يتحسَّنُ بشكلٍ تدريجيٍّ لتصبحَ أكثرَ أهمّيّةً. وفي أواخر النصف الأوّل من هذا القرن، تحوّلت حوزةُ مشهد من حيث الوضع الدرسيّ والعلميّ إلى حوزةٍ كاملةٍ ومهمّةٍ.

ويظهر لنا، بأدنى تأمُّل، وجودُ ارتباطٍ بين تطوّر هذه الحوزة في أواخر النصف الأوّل من هذا القرن وبين ركود حوزة أصفهان العلميّة المشهورة، حيث أثّر همود هذه الحوزة بعد الحكم الصفويّ في تطوّر حوزة مشهد، كما كان تطوُّرُ حوزة أصفهان في القرنين الحادي عشر والثاني عشر مانعًا من تطوّر حوزة مشهد وتكاملها.

وفي أواخر النصف الأوّل من هذا القرن ـ كما مرّ سابقًا ـ أضحت حوزةُ مشهد حوزةً متكاملةً، يقصدُها طلّابُ العلوم الدينيّة من مختلف المدن والقرى. فصارت مـدارسُ مشهد مليئةً بالطلّاب، حتى حضنت ـ حسب قول بعض الطلّاب ـ أكثرَ من ألفي شخص. وكـان الأساتذة والمدرّسون الكبار في كلّ علم منكبّين على التدريس، فتشكّلت حلقات

(١) **مطلع الشمس**، [ج ٢، ص ٢٤].

كبيرة لكلٍّ من الفقه والأصول والحكمة واللغة. وباختصار: نهضت حوزة مشهد من السُّبات الذي كانت فيه، وبدأت مسيرَها نحو التكامل.

وفي هذه المدّة، لم تصل حوزة مشهد من حيث الفقهُ والأصولُ إلى مستوى حوزة النجف، لذلك استمرّ الطلّاب في الهجرة إلى النجف لمتابعة تحصيلهم العالي، وللمشاركة في دروس الأساتذة الكبار والمعروفين. وبعد أن تأسّست حوزة قمّ الكبيرة سنة ١٣٤٠ ق، صارت محطًّا للأنظار. لكن على الرغم من ذلك، فقد بقيت حوزةُ مشهد الحوزة الشيعيّة الأولى في العلوم العقليّة واللغويّة، بحيث قلّ نظيرُ الأساتذة الذين يدرّسون هذه العلوم في مشهد.

وقد اختصّ تدريس العلوم اللغويّة في هذه الفترة بالشيخ عبد الجواد أديب النيشابوريّ (المتوفّى سنة ١٣٤٤ ق) الذي كان شاعرًا تقيًّا. فكانت دروسُه تُعقَدُ في مدرسة نوّاب، وكان ذا أسلوبٍ مميَّزٍ في تدريس كتب اللغة الدراسيّة، حيث كان يُغني درسَه بنُكاتٍ وفوائدَ لغويّةٍ. وقد ربّى كثيرًا من الطلّاب في هذا المجال، حتى إنّ بعض الفضلاء المعروفين اليوم في إيران هم من تلامذته ويفتخرون بذلك. وما زالت حوزة مشهد إلى اليوم مشهورة بعلوم اللغة بسبب دروس هذا الأستاذ العظيم.

ويوجد ثلاثةُ أساتذةٍ كبار في هذه الحوزة كانوا يدرّسون الفلسفة والحكمة، وهم:

١- الملّا محمّد عليّ، المعروف بحاجي فاضل، وهو من طلّاب الميرزا الشيرازيّ، وكان مشهورًا في الفقه والفلسفة، وله الرئاسة العلميّة في حوزة مشهد، ومسند القضاء الشرعيّ. وقد درّس الفقه والأصول مضافًا إلى تدريسه كتب الفلسفة المعتادة (توفّي سنة ١٣٤٢ ق).

٢- الميرزا العسكريّ الشهيديّ، المعروف بالآغا بزرك، وهو فيلسوفٌ مشهورٌ، وأستاذٌ عريقٌ في الفلسفة في مشهد. درّس الحكمة في حوزة مشهد لمدّة ٢٣ سنة، وشارك في درسه واستفاد منه أغلبُ محبّي الفلسفة (توفّي سنة ١٣٥٥ ق).

٣- الشيخ أسد الله اليزديّ، وهو حكيمٌ تقيٌّ، قضى عمره في المدرسة بحال تجرّد. وقد ربّى مجموعةً من الطلّاب الذين كانوا يحضرون درسه (توفّي سنة ١٣٤٢ ق).

وبسبب وجود هؤلاء الأساتذة الثلاثة، غدت حوزة مشهد العلميّة مهدًا للحكمة الإلهيّة ومركزًا لتدريس الفلسفة، حتى عُدّت الأولى في هذا المجال بين الحوزات الشيعيّة العلميّة المشهورة.

لكن ـ كما أسلفنا ـ مرتبتُها الفقهيّةُ أقلّ من حوزة النجف. ومن أجل هذا الأمر، كان كثيرٌ من الطلّاب يشدّون الرحال نحو حوزة النجف لإكمال الدراسات العليا، حيث أكابرُ الفقهاءِ والأساطين. وقد اكتفى كثيرٌ من علماء مشهد المعروفين بتدريس مرحلة السطوح على الرَّغم من كفاءتهم العلميّة العالية. فعلى سبيل المثال، كان السيد علي السيستانيّ (المتوفّى سنة ١٣٤٠ ق) يُدرّس السطوح العالية على الرغم من كونه من علماء مشهد المشهورين، كما أنّ السيد عباس الشاهروديّ (المتوفّى سنة ١٣٤١ ق) كان يُدرّس شرح **اللمعة** على الرَّغم من كونه ضليعًا وملمًّا بكتب الفلسفة ومباني الحكمة. حتى إنّ حاجي فاضل الذي تقدّم ذكره والذي كانت له الرئاسة العلميّة، كان يكتفي بتدريس درسين أو ثلاثة لمرحلة السطوح.

ولعلّ أوّلَ مرّةٍ دُرِّس فيها بحثُ الخارج ـ بالمعنى المتداول في الحوزات الشيعيّة الكبرى ـ في حوزة مشهد سنة ١٣٣٥ ق، حيث تصدّى مدرّسان كبيران لذلك وكانا قد أنهيا دراساتهما العليا في حوزة النجف عند أشهر الأساتذة. وهذان العالمان هما:

١- الشيخ حسين القمّيّ (مرجع تقليد معروف)، وقد أتى إلى خراسان سنة ١٣٣١ ق، فأقام في مشهد، وبدأ بتدريس الفقه والأصول. وقد نفته الحكومة العراقيّة إلى سنة ١٣٥٤ ق (١٣١٤ ش). وكان يُعدُّ من رؤساء حوزة مشهد العلميّة ومدرّسيها الكبار. وبعد سنوات من عودته إلى العراق، صار مرجعًا للتقليد (توفّي سنة ١٣٦٦ ق).

٢- الميرزا محمد الكفائيّ الخراسانيّ المعروف بالآغازاده (ابن الآخوند محمد كاظم الخراسانيّ المتوفّى سنة ١٣٢٩ ق). كان له درسٌ مهمٌّ في حوزة مشهد، وقد ربّى كثيرًا من الفضلاء. ونفته الحكومة إلى يزد إلى سنة ١٣٥٤ ق، وكان يُعَدُّ من علماء الصفّ الأوّل في الحوزة (توفّي سنة ١٣٥٦ ق).

وجاء بعدهما الشيخُ مرتضى الآشتيانيّ (المتوفّى سنة ١٣٦٥ ق)، حيث درّس الخارج في حوزة مشهد، وكان يُعدّ من علماء الصفّ الأول في هذه الحوزة.

وأشهر مدرّسي السطوح في تلك الفترة الزمنيّة، هم: الشيخ حسن البُرسيّ (المتوفّى سنة ١٣٥٣ ق)، والشيخ حسن الكاشيّ (سنة وفاته مجهولة)، والشيخ حسن پايين الخيابانيّ (المتوفّى سنة ١٣٦٦ ق).

وسنة ١٣٤٠ ق تقريبًا، وفد إلى مشهد الميرزا مهدي الأصفهانيّ، وهو أحد الطلّاب المميّزين عند الميرزا النائينيّ الذي كان مرجعًا للتقليد وأستاذًا كبيرًا في حوزة النجف العلميّة (توفّي سنة ١٣٥٥ ق). فبدأ بتدريس السطوح العالية، ثمّ شرع بتدريس خارج الفقه والأصول. والتفّ حوله فضلاء مشهد وطلّابها؛ لأنّه كان محيطًا بالمباني الأصوليّة للميرزا النائينيّ التي كانت جديدةً ومعاصرة. ثمّ بدأ فيما بعد بتدريس المعارف، وهو في الحقيقة درسٌ في علم الكلام، وردٌّ للمطالب الفلسفيّة والعرفانيّة. فأسّس بذلك مدرسة علميّة في مشهد ضدّ الفلسفة والعرفان. وخلال عشرين سنة، ربّى طلّابًا في هذا المجال المعرفيّ، لا يزالُ بعضُهم يروّج لهذه المباني المعرفيّة ويدرّسها.

وهذا ما أدّى إلى نسخ الدرس الفلسفيّ في حوزة مشهد، ليحلّ محلَّه الفكرُ النصف كلاميّ والنصف عرفانيّ المتّكِئ على ظواهر الأحاديث والروايات الواردة عن أهل بيت النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وأوصيائه عليهم السلام.

عصر ركود الحوزة العلميّة في مشهد (بين سنة ١٣١٤ و١٣٢٠ ش)

ظهرت في سنة ١٣٥٤ ق/١٣١٤ ش شجاراتٌ بين علماء مشهد وبين الحكومة المركزيّة، ممّا جعل هذه الحوزة العلميّة ـ وسائر الحوزات في مختلف أنحاء إيران ـ محلًّا للهجوم والتعدّي. فاختير عالمان كبيران من علماء مشهد لنفيهما، وهما: الشيخ حسين القمّيّ والميرزا محمّد آغازاده الكفائيّ (أعلى اللّهُ مقامَهما)، كما أُسِر جمعٌ من علماء مشهد المعروفين، وتمّ زجّهم في السجون.

وعلى أَثَرِ هذه الحوادث المؤلمة، وأذيّة الحكومة لكلّ المتلبّسين بزيّ العلماء، أصاب حوزة مشهد ركودٌ وجمود، إلى أن تعطّلت بشكلٍ كاملٍ بعد الأحداث الدامية في مسجد گوهرشاد (١٣١٤ ش).

وسيطرت إداراتُ الدولة والمعارف والأوقـاف على مدارس مشهد الكبيرة والمعروفة، مثل: مدرسة نوّاب، مدرسة ميرزا جعفر، ومدرسة باقريّه. ولم يسلم من ذلك إلّا مدرسة سليمانخان التي بقي يسكن فيها جمعٌ قليلٌ من طلّاب العلوم الدينيّة.

وأقام بعضُ المدرّسين المعروفين حلقاتٍ درسيّةً صغيرةً، وخاصّةً في منازلهم، وأُجبِر الطلّابُ والمدرّسون والعلماءُ ـ إلّا قليلًا منهم ـ على نزع الزيّ العلمائيّ، فنزعوه وارتدَوا لباسًا متّحدَ الشَّكل.

والحاصل: بين سنة ١٣١٤ و١٣٢٠ ش، لم يبقَ في مشهد خبرٌ ولا أثرٌ عن الحوزة والمدارس والمراسم والزيّ العلمائيّ.

وبعد شهر شهريور سنة ١٣٢٠ ش/١٣٦٠ ق، حصلت تغييراتٌ جوهريّةٌ في الحكومة، ورُفـع الضغط والأذى عن المظاهر الدينيّة والعلمائيّة، وصارت زعامة الحوزة بيد عالِمَين كبيرَين ومشهورَين من علماء مشهد، هما: الشيخ مرتضى الآشتيانيّ، والميرزا مهدي الأصفهانيّ. فعمَدا مجدّدًا إلى إعـادة إعمار الحوزة والمدارس في هذه المدينة المقدّسة. والتفّ حولهما الطلّابُ، فدرسوا عندهما الفقه والأصـول والمعارف، فعادت الحوزةُ العلميّةُ ـ بزعامتهما ـ تدريجيًّا إلى مسير التكامل.

وبوفاة هذين العالمين سنة ١٣٦٥ ق، عاد درس الخارج في الحوزة العلميّة إلى الركود، فكانا آخرَ مدرِّسَين للبحث الخارج.

نعم، كانت في هذه الأثناء بعض دروس بحث الخارج، إلّا أنّها لم تكن بمستوى هذين الدرسين؛ إذ لم يكن المدرّسون في هذه الدروس حائزِين على مراتبَ علميّةٍ عالية، فلم يستطيعوا أن يلبّوا حاجة الحوزة العلميّة في مشهد. ولذلك، عادت الحوزةُ العلميّةُ في مشهد إلى الركود في أواخر النصف الأوّل من القرن الرابع عشر وفي أوائل النصف الثاني من هذا القرن، بعد أن كانت قد بدأت بالتحوّل نحو الأفضل، وبالتألّق بين الحوزات. وهذا ما دفع الطلابَ مرّةً أخرى إلى الهجرة إلى حوزتَي قمّ والنجف من أجل متابعة تحصيلهم العلميّ.

وفي هذه الأثناء، كانت تُعقد دروسُ مرحلةِ السَّطْح، التي كان أهمُّها درس الشيخ هاشم المدرّس القزوينيّ (المتوفّى سنة ١٣٨١ ق/١٣٣٩ ش)؛ فكان يدرّس **الرسائل** و**المكاسب** و**الكفاية** في مدرسة نوّاب، وكانت حلقات درسه بلحاظ الكيف والكمّ منقطعة النظير.

ولم تستمرّ فترة الركود هذه طويلًا؛ إذ زار مشهد سنة ١٣٧٣ ق السيّد محمد هادي الميلانيّ، وهو تلميذ الميرزا النائينيّ والشيخ حسين القمّيّ والشيخ محمد حسين الأصفهانيّ ـ المعروف بالكمپاني ـ، وكان مدرّسًا وإمامَ جماعةٍ في كربلاء. فطلب منه جمع من علماء مشهد أن يُقيم فيها وأن يشتغل بالتدريس، فقبِل، ومنذ ذلك الوقت عاد التألّق إلى حوزة مشهد، واستعادت مكانتها بين الحوزات الشيعيّة الكبرى.

الفصل الثالث: الموقعيّة الجغرافيّة لحوزة مشهد العلميّة

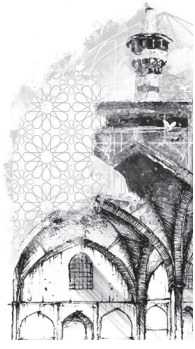

أ- سبب استقرار الحوزة العلميّة في مشهد

لا يمكنُنا أن نذكُرَ سببًا خاصًّا لنشأة حوزة مشهد العلميّة، بحيث يكون مغايرًا للسبب العامّ لتأسيس سائر الحوزات الدينيّة.

وفي قديم الزمان، كان السَّفر بين البلدان صعبًا، ولم يكن بمقدور الجميع السَّفَرُ إلى المدن الكبيرة والحضور في المجامع العلميّة. ومن جهة أخـرى، فقد كانت الحوزة العلميّة الدينيّة تشكل مركز البحث والتحقيق الوحيد بسبب محدوديّة العلوم ونمطيّة الدرس والتدريس في جميع الفنون. كلّ هذا أدّى إلى انتشار المدارس في المدن والقرى بنحوٍ يناسبُ وضعَ كلٍّ منها وعدد السكّان والحالات المعنويّة والروحيّة للقاطنين فيها. وكان يُـدرّس في هذه المدارس مختلفُ أنـواع العلوم والفنون، كالفقه والحديث والتفسير والطب والهيئة والفلسفة وعلوم اللغة والرياضيّات، وغير ذلك من العلوم الشائعة في ذلك الزمن. وكان أساتذة كلّ فنّ من الفنون يُدرِّسون طلّابَهم بما يناسب المستوى العلميّ للأساتذة.

نعم، يمكنُ لنا أن نجدَ في بعض المدن أساتذةً أفضلَ من حيث الكمّ والكيف؛ بسبب بعض الخصوصيّات السياسيّة أو الاجتماعيّة أو الدينيّة أو غيرها. وهذا ما أدّى إلى وجود حوزاتٍ أكبرَ وأنشَط. ومن هنا، نجدُ في أكثر المدن القديمة أو جميعها مدارسَ علميّةً قديمةً أو آثارًا لها. وهذا شاهدٌ على وجود حوزة علميّة في هذه المدن في العصور السابقة. ولا شكّ في كون هذا الأمر من العوامل المساهمة في نشأة حوزة مشهد العلميّة.

وكما أشرنا مرارًا، فإنّ أصلَ عمران هذه المنطقة ونشوئها بوصفها مدينةً كبيرةً ومكتظّةً، يرتبط بشكل أساس بالعامل الدينيّ؛ أي: بوجود مرقد الإمام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام. بل يمكنُ الجزمُ بأنَّ تألُّقَ هذه الحوزة وحيويّتها وتوسّعها منذ القرنين الحادي عشر والثاني عشر إلى الآن، يعودُ أيضًا إلى هذا العامل الدينيّ.

وعلى هذا الأساس، نجدُ أنّ تطوّرَ حوزةِ مشهد العلميّة لم يكن على وتيرةٍ واحدة، فتارةً تتألّقُ وتأخذُ مكانتها بين الحوزات العلميّة الكبيرة، وتارةً أخرى يصيبُها الجمود والركود؛ فإلى ما قبل الحكم الصفويّ، كانت الأكثريّة الشيعيّة في طوس ـ لا سيّما في مشهد ـ مضطهدة؛ لأنّ مذهب التسنُّن السائد في ذلك الزمن كان محلّ تأييدٍ من الحكومات. فلم يكن الطابع الدينيّ لمدينة مشهد بارزًا كما صار في العهد الصفويّ. فكانت حوزة مشهد حوزةً عاديّةً، كسائر حوزات المدن الأخرى. ولم يستطع الموقع الدينيّ لمدينة مشهد أن يُضفِيَ على حوزتها التميُّزَ والحيويّةَ. ولذلك، لم يبقَ من هذه الحوزة العلميّة سوى ثلاث مدراس هي: دو درب، وپريزاد، وبالاسر. ولم يكن ثمّةَ فارقٌ زمنيٌّ كبيرٌ بين بناء المدرستين

الأولَيَين (بين سنة ٨٢١ و٨٤٣ ق)، بينما تمّ بناء المدرسة الثالثة بعد ذلك. وبعد تسلّم الصفويِّين مقاليد الحكم، برز الطابع الدينيّ لمدينة مشهد بسبب: إعلان التشيُّعِ مذهبًا رسميًّا للدولة، والاهتمام بمظاهر التشيُّع، كإعمار مرقد الإمام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام، والتردُّد الدائم للحكّام الصفويّين على مدينة مشهد. فهذا كلُّه، أدّى إلى أن تحظى حوزة مشهد العلميّة بمكانةٍ غيرِ مسبوقةٍ لها، فصارت مَحَلًّا لتربية العلماء والفضلاء. فجذبت إليها عددًا كبيرًا منهم، مثل: الشيخ الحرّ العامليّ (المتوفّى سنة ١١٤٤ ق)، والملّا محمّد باقر السبزواريّ (المتوفّى سنة ١٠٩٠ ق). فقطنوا فيها وتأسّست مـدارسُ دينيّةٌ مختلفة. وباختصار: صارت حوزةُ مشهد العلميّة حوزةً كاملةً وتُدَاني في مستواها حوزاتِ الدرجة الأولى.

ويتّضح ممّا مرّ أنّ حوزةَ مشهد العلميّة لم تكن رهينةَ عاملٍ خاصٍّ محدّد، بل كان حالها كسائر الحوزات العلميّة الأخرى؛ مَدِينَةٌ في نشوئها للظروف الاجتماعيّة والإحساس بالحاجة إلى علوم العصر. لكنّ حيويّةَ حوزة مشهد وتألُّقَها في القرون الأخيرة، مسبَّبٌ عن عاملٍ دينيٍّ، وهو وجود مرقد الإمام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام.

واللافت هنا أنّ حوزة مشهد العلميّة في جميع مراحلها التي تبدأ من العصر الصفويّ، لم تكن بمستوى حوزات الدرجة الأولى الشيعيّة حتى في أوج تطوّرها ـ أي: في القرن الحادي عشر والنصف الأوّل من القرن الثاني عشر ـ؛ فلم تكن في يوم من الأيّام حوزةً يدخلُها الطالب ويتابع فيها تحصيلَه العلميّ العالي كلّه، كما كان حال حوزة النجف في القرون الماضية، وحوزة أصفهان في القرنين العاشر والحادي عشر، وحوزة قمّ في العقود الأربعة الأخيرة. ولأجل ذلك، كان جمعٌ كبيرٌ من علماء مشهد

ومدرّسيها خرّيجي الحوزات العلميّة الكبيرة الأخرى، كحوزتي أصفهان والنجف[١].

والسّرُّ في ذلك:

أَوَّلًا: من خلال الالتفات إلى نظام الحكومة الإيرانيّ في ذلك الزمن، فقد تشكّلت مجامعُ علميّةٌ وبرز كثيرٌ من مظاهر التمدّن والرُّقِيِّ في المناطق القريبة من الحكومة والحكّام. وهذا في الحقيقة شأنٌ من شؤون قدرة الحكومة. ومضافًا إلى توسّع الحكّام وفتحِهم للمناطق الأخرى، فقد جمعوا حولَهُم العلماء، وهذا ما أضفى طابعًا معنويًّا على الجهاز الحكوميّ. وكان يحصل تنافسٌ بين حاكمين بسبب تصرّف عالم أو أديب أو حكيم، فيؤدّي ذلك إلى مناوشاتٍ سياسيّةٍ وعسكريّةٍ. وقد ذكر التاريخ لنا بعضَ النماذج من ذلك. ولذلك، غالبًا ما تشكّلتِ الحوزاتُ العلميّةُ والأدبيّةُ الكبرى بقرب الحكّام والسلاطين المحبّين للعلم. وإبّانَ الحكم الصفويّ، الذي يُعدُّ بدايةَ تكوّنِ الحوزةِ العلميّةِ الحاليّةِ في مشهد، كانت هذه المدينةُ بعيدةً عن مركز الحكومة وقدرتها. ولذا، لم تتوفّر أسبابُ وجود حوزةٍ كبيرةٍ وحيويّةٍ. وبعد ذلك، بدأت تزداد المدارسُ وتتشكّلُ حوزةٌ علميّةٌ قويّةٌ؛ بسبب الاهتمام التدريجيّ للحكّام الصفويّين بهذه المدينة. فصارت حوزة مشهد في القرنين الحادي عشر والثاني عشر في عداد الحوزات الشيعيّة المعروفة، إلّا أنّه لا يمكنُنا عدُّها في مصافّ حوزة أصفهان التي صارت منذ القرن الحادي عشر قِبْلَةَ آمال الطلّاب والمدرّسين بسبب المركزيّة السياسيّة والحكوميّة فيها. ثمّ تطوّرت حوزةُ مشهد،

(١) انظر: **تاريخ علماى خراسان**؛ وأوائل الفصل الثاني من هذا الكتاب.

وَسَعَتْ لتكونَ من حوزات الصفّ الأوّل. وفي الفترة الأخيرة ـ أَوَاسِطَ القرن الرابع عشر للهجرة وأواخرَه، حيثُ اهتمّتِ الحكومةُ أكثرَ بالحوزات العلميّة بشكلٍ لا نظيرَ له في السابق ـ تشكّلت حوزة قمّ، فكان ذلك علّةً لعدم تطوّر حوزة مشهد وكونها الأولى. فقد تميّزت حوزة قمّ بما يلي: لها سابقةٌ تاريخيّةٌ علميّةٌ ودينيّةٌ عريقة، حيث كان يسكنُ فيها في قرون الإسلام الأولى جمعٌ من الشيعة ومحدّثيهم، وكانت مَحَلًّا لهجرة آية الله الحائريّ وآية الله البروجرديّ، وكان لها ارتباطٌ تامٌّ وقريبٌ بالمركز.

ثَانِيًا: الوضعُ الأمنيّ غيرُ الآمِنِ لهذه المدينة، بسبب قربها من قبائل الأزبك والأفغان. وثمّةَ شواهدُ تاريخيَّةٌ كثيرةٌ تدلُّ على أنّ حملة الأزبك على مشهد ـ التي كان لها دافعان: جمع الغنائم، والدافع الدينيّ ـ قد استمرّت لسنواتٍ بعد تشكيل السلسلة الشيعيّة للمذهب الصفويّ. وكان الأزبكيّون متعصّبين جدًّا ضدّ الشيعة، ويهاجمون مدينة مشهد من حين إلى آخر، ويعتدون على أموال الناس وأعراضهم.

وبعد أن تحدّث صاحبُ كتاب **زينة المجالس**[1] ـ الـذي شرع بتأليف كتابه سنة ١٠٠٤ ق؛ أي: في أوائل حكومة الشاه عبّاس الكبير، وفي ذروة العهد الصفويّ ـ عن عمران مشهد في زمن الشاه طهماسب الأول، قال: «أمّا في هذه الأيّام، فقد تهدّمت مدينةُ مشهد بسبب تصرّف الأزبكيّين...»[2].

(١) المير مجد الدّين محمد.

(٢) الفصل الثاني من الجزء التاسع، ذيل كلمة طوس.

ومن الطبيعيّ أنّه يصعُب جدًّا ـ بل لا يُعقلُ ـ تشكيلُ حوزةٍ علميّةٍ في مدينةٍ لا تنفكُّ عن تهديد الأعـداء، ويكونُ أهلُها دومًا خائفين من هجوم الغزاة والمحتلّين.

[**ثالثًا**]: وبغضّ النظر عن هذين السببين، فقد أثّر في عدم تطوّر حوزة مشهد وجودُ حوزات علميّة في المدن القريبة من مشهد، مثل: سبزوار، ونيشابور، وكاشمر، وتون (فردوس)، وطبس. وهذا ما كان مانعًا أيضًا من اجتماع طلّاب العلوم الدينيّة في مشهد ـ التي تبدو للوهلة الأولى قريبةً من المدن الصغيرة ـ.

ب- أثرُ مرقد الإمام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام وحوزة مشهد العلميّة

الأثر على جوّ المدينة

عندما توسّعت مدينة مشهد وتطوّرت، كان المركزُ الأسـاسُ في هذه المدينة هو مرقدَ الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام؛ لأنّه السببُ الرئيسُ لعمران مدينة مشهد وازدهـارهـا. فاستقرّت بالقرب من هذا المرقد الشريف أهمُّ المحالّ التجاريّة والطرقات العامّة. وإلى العقود الأربعة الأخيرة، كان الحرمُ الرضويُّ المركزَ الجغرافيَّ والاجتماعيَّ لمدينة مشهد. ويوجد شارعان رئيسان، هما: أعلى الشارع (الواقع إلى الجهة الغربيّة للحرم الرضويّ) وأسفل الشارع (الواقع في شرق الحرم الرضويّ). وكان يُحيطُ بالحرم الرضويّ مراكزُ عامّةٌ ـ من قبيل: المساجد، مدارس العلوم الدينيّة، والفنادق ـ ومحالّ تجاريّة قديمة، مثل: نوقان، وعيدگاه، وچهارباغ، وسرشور.

وفي سنة ١٣١٠ ش، أُنشئت مستديرةٌ باسم «فلكه آستان قدس»، يحيطُ بها عددٌ من الأبنية والأسواق، وتتّصلُ بها بعضُ الشوارع الأخرى. وهكذا تغيّر المركز الأساس لمشهد، وهُدّمت الأزقّةُ القديمةُ التي كان أغلبُها مسقوفًا، وعلى شكل دهاليز. وفي السنوات اللاحقة، كثُر تردُّدُ الزوّار إلى مدينة مشهد، ممّا سارع في عجلة تطوّر هذه المدينة وازدهارها. فتغيّرت الموقعيّة الجغرافيّة للحرم الرضويّ، بحيث صار الحرم الرضويّ وصحناه (أو ساحتاه) ومسجد گوهرشاد واقعةً في الجهة الشماليّة الشرقيّة لمدينة مشهد.

وفي العقدين الأخيرين، تسارعَ ازدهارُ مدينة مشهد أكثر من السابق بكثير، وانقسمت تدريجيًّا إلى منطقتين: مشهد القديمة، ومشهد الجديدة. فصارت مشهدُ الجديدة عبارةً عن: القسم الشماليّ والغربيّ والجنوبيّ الغربيّ؛ أي محالّ: عشرت آباد، وسعد آباد، وأحمد آباد، وكوهسنگی و... التي يشتمل كلّ منها على أكثر من شارع مضافًا إلى الشوارع الأخرى المتّصلة بهذه المحالّ. ولا يظهر الطابع الدينيُّ بشكلٍ بارزٍ في مشهد الجديدة، واتّسمت أبنيتُها بالطابع الحديث والمتوسّط.

وأمّا مشهد القديمة، فأبرزُ ما فيها هو توسعةُ طرقاتِ مرقدِ الإمام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام؛ أي: الشوارع الأربعة الكبرى الأكثر اكتظاظًا بالسكّان، وهي: أعلى الشارع (شارع نادري)، وأسفل الشارع (شارع صفوي)، وشارع تهران، وشارع طبرسي. وتتصل محالّ مشهد المختلفة من الجهات الأربع بمستديرة «آستان قدس». ومن الواضح جدًّا، أنّ سبب توسعة الطرقات هو مرقد الإمام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام.

وقد أثّر الطابعُ الدينيُّ لمدينة مشهد في كيفيّة البناء والإعمار، بحيث كانت المحالّ القريبة من الحرم ـ لا سيّما الواقعة في الجهة الشرقيّة والشماليّة الشرقيّة والجنوبيّة الشرقيّة ـ فيها منازل عالية الجدران، ولا يُلاحظ هناك كيفيّة البناء الحديثة.

الفنادق ونُزُل السفر

ليست مدينة مشهد أولى المدن الإيرانيّة في السياحة وجلب السوّاح من الخارج؛ لكنّها قطعًا من مدن الدرجة الأولى في إيران من حيث تردُّدُ المسافرين الإيرانيّين إليها. وفي السنوات الأخيرة، لا سيّما بعد أن أصبح قطار طهران ـ مشهد فعّالًا (سنة ١٣٣٦ ش)، صار عـددُ المسافرين الإيرانيّين يـزدادُ بسبب الطابع الدينيّ لهذه المدينة، وبسبب تردّد المسافرين إليها لزيارة الإمام الرضا عليه السلام. وهذا ما كان بارزًا جدًّا عند انقطاع رحلات السفر إلى العراق ومشاهده المقدّسة، فصارت مشهد أكثرَ من السابق قِبْلَةً لقوافل الزوّار من مختلف مدن إيران والبلاد الإسلاميّة.

ومن الطبيعيّ أن يؤدِّيَ ذلك إلى إيجادِ كثيرٍ من الفنادقِ ونُزُلِ السفر. وهذا أثرٌ واضحٌ للطابع الدينيّ لهذه المدينة، ولوجودِ مرقدِ الإمام عليِّ بن موسى الرضا عليه السلام فيها.

وأكثرُ هذه الفنادق موجودة في محيط الحرم الرضويّ؛ أي: قرب مستديرة «آستان قدس»، وفي الشارع الأعلى، والشارع الأدنى، وفي شارع تهران، وشارع طبرسي، وفي الأزقّة، وقرب الأسواق التجاريّة والطرقات الفرعيّة لهذه الأسواق. لكنّ هذه الفنادقَ ونزُلَ السفر لا تكفي المسافرين والزائرين في بعض المواسم، مثل: أوائل فروردين، وفترة العطلة الصيفيّة،

وأيّام ولادات أئمّة أهل البيت ووفيّاتهم عليهم السلام، لا سيّما أوّلَ شهر رجب ونصفَه وأواخرَ شهر صفر. فيستفيدُ سكّان مشهد من ذلك، فتظهرُ في تلك الأثناء نُزُل سفرٍ غيرِ رسميّةٍ لأجل تلبية حاجة آلاف المسافرين. وهذا أحد الموارد الماليّة المهمّة لأهل مشهد في السنوات الأخيرة.

دور مرقد الإمام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام في اقتصاد مشهد وخلق فرص عمل جديدة

من أهمّ الموارد الاقتصاديّة القديمة والحديثة في مدينة مشهد هو تردُّد الزوّار والمسافرين إليها، بسبب طابعها الدينيّ ووجود مرقد الإمام عليِّ بن موسى الرضا عليه السلام فيها. في السابق، كانت هذه السفرات محدودةً وخاصّةً ببعض الفصول (كالربيع والصيف) بسبب قِدَم وسائل النقل ونقصها. أمّا في السنوات الأخيرة، لا سيّما بعد اتصال سكّة قطار طهران ـ مشهد، فقد صار السَّفَرُ إلى مدينة مشهد متواصلًا في كلّ أيام السّنة. فصار يفِدُ إليها مئاتُ آلاف الزائرين والمسافرين من الطبقات المختلفة، ومن المدن المتعدّدة، فيبقون في مشهد أسبوعًا (حدًّا متوسّطًا). ومن البديهيّ أنّ تردُّدَ هذا العددِ الهائلِ من المسافرين يؤدّي إلى تأثيرٍ إيجابيٍّ ملحوظٍ في اقتصادِ مدينة مشهد.

ومضافًا إلى هذا التأثير على القطاع الاقتصاديّ، يوجبُ تـردُّدُ المسافرين والزائرين إلى مشهد خَلْقَ فُرَصِ عملٍ جديدةٍ، أهمُّها: العملُ في الفنادق ونُزُلِ السفر. وقد أشرنا فيما سَبَقَ إلى أنّ هذا العملَ صار من الموارد الماليّة المهمّة لأهالي مشهد في الآونة الأخيرة.

وتوجد أعمالٌ أخرى ـ غيرُ ما يرتبط بالفنادق ونزُل السفر ـ يمارسُها أهلُ مشهد، لها ارتباطٌ مباشر بالموقعيّة الدينيّة لهذه المدينة، مثل:

١- بيع البضائع ـ ذات القيمة العالية والمنخفضة ـ للزوّار التي يشترونها هدايا وتذكارًا من السفر.

٢- نحتُ الأحجار وصناعة القدور من أحجار خاصّة؛ لأنّه يوجد رواية عامّيّة[١] تقول بأنّ الإمامَ عليَّ بن موسى الرضا عليه السلام مرّ بالقرب من جبل هو أصلُ هذا الحجر، فدعا له بالبركة. ويوجد في مشهد سوقٌ خاصّةٌ لنحت الأحجار[١][٢]، حيث يعتاشُ بعضُ أهل مشهد من خلال بيع هذه القدور. وفي الآونة الأخيرة، لم يعُد النّاس يرغبون فيها كالسابق.

---

(١) وردت هذه الرواية في كتاب **عيون أخبار الرضا**، في باب خروج الرضا عليه السلام من نيسابور إلى طوس ومنها إلى مرو: «حدثنا تميم بن عبد الله بن تميم القرشيرضي الله عنه، قال: حدّثنا أبي، قال: حدّثنا أحمد بن عليّ الأنصاريّ، قال: حدّثنا عبد [السلام] صالح الهرويّ، قال: لمّا خرج علي بن موسى الرضاعليهما السلام إلى المأمون فبلغ (قرب) قرية الحمراء قيل له: يا بن رسول اللّه قد زالت الشمس أفلا تصلّي؟ فنزل عليه السلام فقال: ائتوني بماء، فقيل ما معنا ماء. فبحث عليه السلام بيده الأرض، فنبع من الماء ماء توضّأ به هو ومن معه، وأثرهُ باقٍ إلى اليوم. فلمّا دخل سناباد استند إلى الجبل الذي تُنحَت منه القدور، فقال: اللهمّ انفع به وبارك فيما يجعل فيه، وفيما ينحت منه، ثمّ أمر عليه السلام فنحت القدور من الجبل وقال: لا يطبخ ما آكله إلّا فيها. وكان عليه السلام خفيف الأكل قليل الطعم فاهتدى الناس إليه من ذلك اليوم، فظهرت بركة دعائه فيه، ثمّ دخل دار حميد بن قحطبة الطائيّ ودخل القبّة التي فيها قبر هارون الرشيد، ثم خطّ بيده إلى جانبه، ثمّ قال: هذه تربتي وفيها أُدفَن وسيجعل اللهُ هذا المكانَ مختلفَ شيعتي وأهل محبّتي والله ما يزورني منهم زائرٌ ولا يسلّم عليّ منهم مسلّم إلّا وجب له غفران الله ورحمته بشفاعتنا أهلَ البيت، ثمّ استقبل القبلة فصلّى رَكَعاتٍ ودعا بدعواتٍ، فلمّا فرغ سَجَدَ سَجْدَةً طال مُكْثُهُ فيها، فأحصيتُ فيها خمسمئة تسبيحة، ثمّ انصرف». (المترجم)

(٢) مثل هذين القوسين [ ] تجد هامشه في الملحقات والإضافات آخرَ الكتاب.

المستوصفات الدينيّة

يُعَدُّ إنشاءُ المستوصفاتِ العامَّةِ للأفراد المستضعفين من إحدى الظواهر الدينيّة في مدينة مشهد. وأوّل مرّة كانت سنة ١٣٤٠ ش، حيث اجتمع بعضُ الأفراد الخيّرين لتأسيس مستوصف في إحدى مناطق مشهد الفقيرة والمكتظّة بالسكان (أسفل الشارع)، ووضعوا اسم المرحوم آية الله البروجرديّ على هذا المستوصف كي يتّصف هذا العمل بطابع دينيّ. وبعد ذلـك، أنْشِئَ كثيرٌ من المستوصفات المجهّزة بوسائلَ حديثةٍ ومستشفيات من قِبَل بعض الخيّرين، وسمَّوا كلَّ واحدٍ منها باسم أحد أئمّة أهل البيت عليهم السلام أو أحد القادة الدينيّين. وهي مستوصفاتٌ ومستشفياتٌ مجّانيّةٌ تقريبًا ـ يأخذون مبلغًا زهيدًا جدًّا لأجل الدخول (من خمسة إلى عشرة ريالات) ـ، ويموّلها جمعٌ من المتديّنين الخيّرين.

وأشهرُ هذه المستوصفات والمستشفيات هي:

مستوصف ومستشفى موسى بن جعفر عليه السلام[٢] (الواقع في شارع تهران)، مستوصف ومستشفى جواد الأئمّة عليه السلام (الواقع في شارع طبرسى)[٣]، مستوصف بروجردي[٤] (الواقع في شارع صفوي أو أسفل الشارع)، مستوصف خاتم الأنبياء (الواقع في شارع شهيد كاشاني، وكان يسمّى شاه عباس)[٥]، مستوصف حسين بن عليّ[٦] (الواقع قرب مستديرة برق)، مستوصف حجّتي[٧] (الواقع في سمرقند).

ويُديرُ أغلبَ هذه المستوصفات أطبّاءُ معروفون. وهي ملاذٌ للطبقات الفقيرة، وتستقبل يوميًّا مئات المرضى لمعالجتهم أو إدخالهم المشفى[٨].

القسم الثاني:

حوزةُ مشهد العلميّة؛ تشكيلاتُها وأحوالُها الدراسيّة

الفصل الأول: الإدارةُ والنظام الدراسيّ

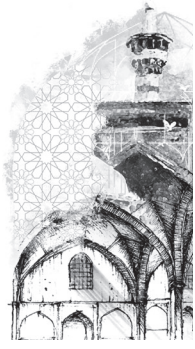

أ- التشكيلاتُ الإداريّة

ليس لدى حوزةِ مشهد العلميّة تشكيلاتٌ إداريّـةٌ بالمعنى المعروف والمتداول، بل هي كسائر الحوزات العلميّة الشيعيّة عبارة عن: «مجموعة من المحصّلين وأساتذة الدروس الدينيّة الذين اجتمعوا في مكانٍ واحـدٍ لهدفٍ مشترَك، وخضعوا لسلسلةٍ من المقرّراتِ الخاصّةِ ولتنظيمٍ بسيطٍ وبدائيٍّ. وليس لديهم ضامنٌ تنفيذيٌّ سوى الأخلاق والدِّين. وكلٌّ منهم مشغول بأعماله الخاصّة».

مضافًا إلى ذلك، تشتملُ بعضُ أقسام هذه الحوزة ـ التي هي غير مستقلّة عن الحوزة بأيّ شكل من الأشكال ـ على إدارة بسيطة وصغيرة ومستقلّة. فعلى سبيل المثال، لكلّ مدرسةٍ من مدارس هذه الحوزة مبنى مستقلّ يتولّى مهمّة إدارة هذه المدرسة، ويمكنه اتّخاذ القرارات في الأمور الخارجة عن الخطوط العامّة والمشتركة للحوزة.

وأفضلُ إدارةٍ بين الإدارات هي في مدرسة نوّاب ومدرسة ميرزا جعفر، حيث تتألّف من: المتولّي والمتصدّي وأمين المكتبة والخادم.

فالمتولّي هو الذي يتولّى بالوراثة أو بتنصيب الحاكم الشرعيّ كلّ أمور المدرسة، مثل: المحافظة على البناء وإعماره، والقرارات المرتبطة بالوقف «بالحدّ الشرعيّ المسموح له»[١]، والإذن للطلّاب بالدخول إلى المدرسة، واتّخاذ قرارت فيما يرتبط بالخصوصيّات الداخليّة للمدرسة و... وهو على رأس النظام الإداريّ للمدرسة.

والمتصدّي يُعيَّن من قبَل المتولّي، ويتكفّل بإدارة مكتب المدرسة وتقسيم الوقف بين الطلاب. كما يعالج الأمور الجزئيّة، ويحافظ على النظام الداخليّ للمدرسة.

وأمّا المدارسُ التي فيها مكتبةٌ، فيوجد فيها مَن يتولّى مهمّة أمانة المكتبة. ويعيّنه المتولّي أو المتصدّي، ويقع على عاتقه الأعمال المرتبطة بالمكتبة.

ويوجد في المدرسة شخصٌ أو أكثر للخدمة والتنظيف ولأيّ عمل يطلبه الأولياء منهم. ويُعيَّن هؤلاء من قبَل المتولّي أو المتصدّي.

وهذا النظامُ الإداريُّ البسيطُ موجودٌ تقريبًا في كلّ مدارس حوزة مشهد العلميّة بشكلٍ واحدٍ، مع اختلافاتٍ جزئيّةٍ طفيفةٍ جدًّا في بعض الموارد.

نعم، توجد إدارتان لهما ربطٌ بالدراسة، جديدتان ومفصّلتان أكثر بالنسبة إلى سائر المدارس. وسوف نشيرُ إليهما في محلِّه، إن شاء الله[٢].

---

(١) لقد وضّحت الكتب الفقهيّة دائرة اختيار المتولّي.

(٢) إحدى هاتين الإدارتين هي: مدرسة آية الله الميلانيّ التي أُشير إليها في الفصل الثاني من القسم الثاني. والثانية هي مدرسة جعفريّه التي ذكرناها في الفصل الثاني من القسم الثالث تحت عنوان «سكن الطلاب».

وباستثناء هذه الإدارات الصغيرة والخاصّة، تتألّفُ حـوزةُ مشهد العلميّة من ثلاث طبقات:

الطبقة الأولى: هي طبقةُ طلّاب العلوم الدينيّة. وهي تشكِّلُ العنصرَ الأساس في الحوزة العلميّة. ويدرُسُ هؤلاءِ الطلّابُ العلومَ الإسلاميّةَ، مثل: الفقه والأصول والفلسفة واللغة العربيّة والمنطق، وقد بُنيت المدارس ليسكُنوا فيها.

الطبقة الثانية: هي طبقة المدرّسين؛ أي: أساتذة الدروس والعلوم.

الطبقة الثالثة: وهي طبقة رؤسـاء الحوزة؛ أي: العلماء الكبار الذين يُديرون أمور الحوزة العامّة (مثل: أمور المدارس، والأمور الماليّة، وبالجملة: كلّ أمور الطلّاب العامّة)، ويحدّدون الضوابطَ الأساسيّةَ للحوزة المرتبطة ببعض المسائل العامّة.

ومن خلال الأبحاث القادمة، سيتَّضحُ أنّ هذه الطبقات الثلاث ليست مستقلّةً بعضُها عن بعضٍ تمامًا؛ فبعضُ الطلّاب في الوقت الذي يدرسون فيه تراهم يدرّسون الكتب التي تناسبُ تحصيلَهم العلميَّ. كما أنّ رؤساء الحوزةِ بشكل عامّ متصدّون للتدريس. وفي الوقت الحالي، يترأّسُ الحوزةَ عالمان كبيران، هما: آية الله الميلانيّ وآية الله القمّيّ، وهما من أبرز أساتذة الحوزة العلميّة في مشهد. وفي الحقيقة، إنّ أحد شؤون رئاسة الحوزة هو التصدّي لتدريس بحث الخارج[1].

(١) انظر: الفصل الثالث.

رؤساءُ الحوزة ووظائفُهم

رئاسةُ الحوزة العلميّة في مشهد لا تعني التفوّق العلميّ والتصدّي لتدريس أهمّ الدروس في الحوزة فحسبُ، بل إنّ إدارةَ الوقف والتدخُّل في أمور المدارس والاستفادة من النفوذ في الحكومة بشكلٍ خاصٍّ، هو ملاكُ نوعٍ ما من الرئاسة. ومن البديهيّ أنّ الرئيسَ بهذا المعنى، ليس لديه اعتبارٌ وحيثيّةٌ معنويّةٌ كبيرةٌ بنظر أفراد الحوزة، ولا يكون رئيسًا علمائيًّا بالمعنى الواقعيّ للكلمة.

وعلى مرّ السنوات، كان هذا النوع من الرئاسة موجودًا في حوزة مشهد إلى جانب الرئاسة العلميّة والعلمائيّة. ومن النادر أن تَجِدَ اجتماعَ هاتين الرئاستين في شخصٍ واحدٍ.

وقد أدّى وجودُ هذين النوعين من الرئاسة في حوزة مشهد بالتَّبَع إلى تقسيم شؤون الرئاسة ووظائفها، فصار للمتصدّي في كلِّ نوعٍ من هذين النوعين وظائفُ ومهمّاتٌ خاصّةٌ. فتصدّى الرئيسُ العلمائيُّ لإدارة الحلقات الدرسيّة، وتدريس المراحل العالية من الفقه والأصول (دروس الخارج)، وتقسيم سهم الإمـام بين طـلّاب الحوزة، وتعيين الضوابط الحوزويّة العامّة في مقابل بعض الظواهر المختلفة، وامتحان الطلّاب وتحديد رتبهم و... وأمّا الرئيس الثاني ـ أي: المستفيد من النفوذ في الحكومة ـ فممّا يقعُ على عاتقه: التدخُّلُ في شؤون المدارس، إدارة الوقف وتقسيمه، وعلاقة الحوزة ببعض الإدارات الحكوميّة من قبيل: إدارة نظام الوظيفة وإدارة الأوقاف.

وتجدرُ الإشارةُ إلى أنّ النوعين السابقين من رئاسة الحوزة العلميّة غير قابلَين للتنصيب والعزل، بل يحصلان بشكل تدريجيٍّ من خلال تميّز

أحد طلّاب الحوزة بالعلم والتقوى أو عندما يكون له سابقةٌ تدريسيّةٌ عريقةٌ.

وفي العصر الراهن، يتولّى رئاسة الحوزة العلميّة في مشهد وإدارتها:

١- آية الله السيّد محمد هادي الميلانيّ، ولديه أفضل درس فقه وأصول في حوزة مشهد، ويُعطي الشهريّةَ لبعض الطلّاب والمدرّسين. وقد أسّس مدرسةً جديدةً (نسبيًّا) حيث يدرس فيها بعض الطلّاب الدروس الإسلاميّة، مثل: الفقه والأصول والتفسير والكلام (وسوف يوافيك مزيدٌ من التفاصيل عن هذه المدرسة في الفصل الثاني من القسم الثاني).

٢- وآية الله الحاج حسن القمّيّ[٩]، الذي يدرّس الفقه في حوزة مشهد العلميّة. ويُعطي شهريّةً محدّدةً لبعض الطلّاب والمدرّسين في مشهد.

٣- والحاج الميرزا أحمد الكفائيّ الخراسانيّ، وهو المتولّي أو المتصدّي في بعض مدارس مشهد المعروفة، مثل: مدرسة نوّاب، ومدرسة خيراتخان، ومدرسة دو درب، ومدرسة سليمانخان. وهو أيضًا مسؤولٌ عن علاقة الحوزة ببعض إدارات الدولة؛ مثل: إدارة نظام الوظيفة، وإدارة الأوقاف.

ب- التشكيلات المالية في الحوزة

تُعَدُّ الـ«شهريّة» ـ أي: المساعدة الماليّة التي تقدّم للطلّاب والمدرّسين كلّ شهرٍ من قبل رؤساء الحوزة ـ من التشكيلات الماليّة للحوزة العلميّة في مشهد، وثمّة طريقان لتأمينها في الحوزة العلميّة في مشهد، هما:

١- الوقفُ الخاصُّ بالمدارس

بالإضافة إلى كون مدارس الحوزة العلميّة في مشهد مَحَلًّا للدراسة؛ فهي تعتبرُ مَحَلًّا لِسَكَنِ طلبة العلوم الدينيّة، حالُها حالُ سائر الحوزات العلميّة، بل هي في الأساس بُنِيَت لتكونَ مسكَنًا للطلّاب والمحصّلين. وقد قام بُناةُ هذه المدارس ـ الذين يُعَدُّ أغلبُهم من طبقة الأمراء والأغنياء ـ بوقف إمكانات ماليّة كبيرة لأجل مساعدة الطلّاب الساكنين في هذه المدارس في معيشتهم. هذه الموقوفات التي زالت بسبب مرور السنوات وعدم أهليّة كثيرٍ من المسؤولين عنها، وبسبب سوء استخدام بعضهم لها. ومن بين المدارس العلميّة تُعَدُّ مدرسة نوّاب المدرسة الوحيدة التي ما زالت تستفيد من الوقف، وتقسِّم عوائد الوقف على طلّابها، تعتبرُ هذه المدرسة من أهمّ مدارس الحوزة العلميّة في مشهد المقدّسة، وتصلُ حصّة كلّ طالبٍ من الشهريّة التي توزّع في هذه المدرسة إلى أربعمئة ريال.

كما أنّ مدرسة سليمانخان تعدُّ من المدارس التي لها شهريّة محدّدة اعتمادًا على الوقف، وتبلُغُ الشهريّة التي توزّع فيها لكلِّ طالبٍ من الطلّاب الساكنين في هذه المدرسة مئتي ريال.

وأمّا سائر المدارس الموجودة في مشهد، فالشهريّةُ التي تعطى للطلّاب الساكنين فيها تكادُ تكونُ معدومةً، بحيث لا تكفي لتغطية احتياجات يومٍ واحدٍ. ومن هذه المدارس نذكر خيراتخان ومدرسة ميرزا جعفر؛ فشهريّةُ هاتين المدرستين لا تتجاوز عادةً الخمسين ريالًا في الشهر الواحد. ومع كون هذا المبلغ قليلًا جدًّا، فإنّه غيرُ منتظمٍ؛ ففي بعض الأشهر لا يوزّع على الطلّاب شيءٌ.

تقسيم الوقف

المدارسُ التي تعتمد على إيـرادات الوقف تَصْرِفُ هذه الإيـراداتِ في الحاجاتِ الضّروريّةِ للمدرسة، كحقوق المتولّين عليها وموظّفي المدرسة، مثل: المتصدّي والخادم وغيرهم. هذا، مضافًا إلى تكاليف الماء والكهرباء، والصيانة الضّروريّة للمدرسة. فإن بقيَ بعد ذلك شيءٌ من أموال الوقف، وُزِّع بين الطلّاب. وإنّما يستحقّ هذه الشهريّة طلّابُ نفس المدرسة الذين يكونون معروفين وأسماؤهم مسجّلةٌ في سجلّات المدرسة.

وقد ذكرنا فيما سبق أنّ مدارسَ الحوزة العلميّة في مشهد ـ كما هو المستفادُ من ملاحظة بنائها ـ قد بُنيت ليسكُنَ فيها الطلّاب، لا سيّما الذين يأتون من مناطق أخرى. وعلى هذا الأساس، يتّضح أنّ الالتحاقَ بمدرسة محدّدةٍ لا يعني التردُّدَ إليها فحسبُ، بل لا بدّ أيضًا من الحصول على حُجْرَةٍ من حُجُرَاتِ تلك المدرسة؛ ولذا تعطى أموالُ الوقف التّابع للمدرسة للطلّاب الذين يمتلكون حُجْرَةً فيها. كما تُعطى أيضًا لمن كان من الطلّاب متزوّجًا ولديه منزل، لكن بشرط أن يقضيَ ساعاتٍ من الليل والنهار في تلك المدرسة. وتضع بعضُ المدارس شروطًا لكي يستحقّ الطالبُ حُجْرَةً في المدرسة ـ وحيازة الطالب لحجرةٍ شرطٌ أساسٌ لاستحقاق الشهريّة ـ وقد تذكَرُ الشرائِطُ أحيانًا في صيغة الوقف ويحدّدها الواقفُ ومؤسِّسُ المدرسة. وفي بعض الأحيان يحدِّدُها المتولّون المتعاقبون على هذه المدارس، وقد تختلف شروطُهم أحيانًا بحسب بعض الظروف. فعلى سبيل المثال، يُشترط في مدرسة نوّاب ـ وفي بعض مدارس مشهد الأخرى ـ أن ينجحَ الطالبُ في امتحان الدخول، ليتمكَّنَ من الالتحاق بها، وليتمكَّنَ من الحصول على حُجْرَةٍ فيها، ويحدِّدُ هذا الشرطَ متولّو هذه المدارس.

ولو أراد الطّالبُ الجديدُ في الحوزة العلميّة الحصولَ على مسكنٍ في مدرسةٍ من المدارس، لا بدّ له من أن يبدَأَ بالتردُّد على هذه المدرسة وأن يقضيَ ساعاتٍ فيها بالمطالعةِ والبحثِ والدَّرس. أمّا لو كان الطالبُ من خارج مشهد، فلا بدّ له من البحث عن مدرسةٍ يقطُنُ فيها بعضُ أصدقائه وأهل منطقته ليسكُنَ معهم. وعلى أثر التردُّد المتواصل أو السكن في المدرسة المعيّنة تدريجيًّا يتعرَّفُ المتصدّي لهذه المدرسة على الطالب الجديد؛ فإن وُجِدَتْ حُجْرَةٌ خاليةٌ فيها، يطلب الطالب من المتصدّي أن يُسْكِنَهُ فيها. أمّا إذا كان الانتساب إلى المدرسة مشروطًا بامتحان دخول ونجح الطالب فيه، فإنّه يستحِقُّ رسميًّا أن يستفيد من خدمات المدرسة، بعد النجاح في تلك الامتحانات.

ولو غاب أحدُ الطلّاب مدّةً غيابًا غير مسوَّغ، فسوف يُحذف اسمُه من سجلّات المدرسة، ويحرم من الهدايا التي تقدّمُها المدرسةُ إلى طلّابها. وتتراوح مدّة الغياب هذه بين الشهر في بعض المدارس أو أكثر في مدارس أخرى، لكنَّ جميعَ المدارس تستثني أيّام تعطيل الحوزة من هذه القاعدة.

٢- سهم الإمام

المورِدُ الثاني لشهريّة طلّاب الحوزة العلميّة في مشهد هي الشهريّة التي توزَّعُ عليهم من قِبَل رؤساءِ هذه الحوزة أو من قبل مراجع التقليد الذين يسكنون في سائر الحوزات العلميّة (قمّ والنجف). وتعطى هذه الشهريّة من سهم الإمام وهو نصف مقدار الخمس. وأهمّ مصرف لسهم الإمام هو حِفْظُ الحوزات العلميّة الشيعيّة، وتأمينُ معاشها والوسائل اللازمة لتحصيل الطلّاب فيها. ويدفعُ الناس سهم الإمام لمراجع التقليد والعلماء الكبار.

وثمّةَ مكاتبُ خاصّةٌ بحيث يُقسِّم هؤلاء العلماء والمراجع هذا السَّهم على الطلّاب والمدرّسين من خلال ملاحظة بعض المعايير في أفراد الحوزة. وفي حوزة مشهد أيضًا يقسَّم سهمُ الإمام الذي يكون بحوزةِ بعضِ مراجع التقليد ـ اثنان منهم من ساكني هذه الحوزة ـ على الطلّاب والأساتذة. ولكلٍّ من العلماء والمراجع الذي يوزّعون الشهريّات مكتبٌ خاصٌّ دوِّنت فيه أسماء طلّاب حوزة مشهد وأساتذتها. وتوزَّعُ الشهريّات مرّةً واحدةً في كلّ شهرٍ قمريٍّ في هذه المكاتب من قِبَل أفرادٍ يعيِّنُهم العلماء والمراجع ويُعرفون بـ «المُقَسِّمينَ».

وتختصُّ بعض الشهريّات بالطلّاب الذين يشاركون في درس محدَّد، أي: إنّ أساتذتهم يوزّعون عليهم مَبْلَغًا معيّنًا كلَّ شهرٍ، لكنَّ أكثرَ الشهريّات في حوزة مشهد العلميّة هي شهريّاتٌ عامّةٌ غيرُ مختَصَّةٍ بأصحاب درس محدّدٍ أو بأهالي منطقة محدّدة أو بساكني إحدى المدارس، بل هي شهريّاتٌ توزّع على الجميع. وأغلبُ مكاتب الشهريّات تخصّصُ مَبْلَغًا إضافيًّا للطلّاب المتزوّجين، غالبًا ما لا يتناسب مع مصروف الشخص المتزوّج، بل يكون مجرّدَ وسيلةٍ لتمييز العازب عن المتأهّل. ولا يوجد فرقٌ في الشهريّةِ بلحاظِ اختلاف المراتب في التحصيل الدرسيّ، وغالبًا ما تكونُ متساويةً بين جميع الطلّاب ـ الذين بالطبع يختلفون بلحاظ المرتبة الدرسيّة ـ. نعم، غالبًا ما يضيفُ رؤساء الحوزة شهريّةً خاصّةً إلى هذه الشهريّة العامّة لخصوص الطلّاب ذوي التجربة الطويلة وللفضلاء ولمدرّسي السَّطْح واللغة، وأغلبُ هذه الشهريّات الخاصّة لا تكونُ محدَّدةً بالنسبة إلى الأفراد، بل تختلفُ بحسب الفضل أو الحاجة أو غير ذلك من الأمور.

وأمّا الشهريّات العامّة في حوزة مشهد العلميّة فهي:

- شهريّة آية الله السيّد محمود الشاهروديّ (المقيم في النجف): مئة وخمسون ريـالًا في الشهر للطّالب العازب، ومئتا ريالٍ للطالب المتأهّل.
- شهريّة آية الله الحاج حسن القمّيّ (مقيم في مشهد): ما يعادل مئة وستين ريالًا من الخبز للعازب، وما يعادل مئتي وستين ريالًا من الخبز للمتأهّل.
- شهريّة آيّة الله السيد محمد هادي الميلانيّ (مقيم في مشهد): مئة وخمسون ريالًا للجميع في الشهر الواحد[١٠].

وأمّا الشهريّات الخاصّة فهي على الشكل التالي:

- شهريّة آية الله القمّيّ التي تعطى لطلّاب درسه، وقيمتُها مئتا ريال في الشهر.
- شهريّة آية الله الميلانيّ التي تُعطى للطلّاب الملتحقين بمدرسته أو المشاركين في درسه، وهي تتراوحُ بين المئتين وخمسين وبين الألف ريال في الشهر.
- شهريّة الحاج الميرزا أحمد الكفائيّ، وهي تعطى للذين يشاركون في درسه، ومقدارُها مئة ريال في الشهر.

ويعطي كُلٌّ من آية الله القمّيّ وآية الله الميلانيّ بشكل منفصل فضلاءَ الحوزةِ العلميّة والطلّاب القدامى شهريّات أخرى ليس لها قيمة محدّدة، بل تختلف بحسب فضيلة هؤلاء الأفراد.

ولكلٍّ من الشهريّات العامّة والخاصّة مكاتب مستقلّة، بحيث يُسجَّل فيها كلُّ من يستحقّ هذه الشهريّة. ويتواجد المتصدّون لتوزيع هذه الشهريّات ـ أيّ المقسِّمون لها ـ في كلّ شهر في هذه المكاتب لتوزيع الشهريّة على الطلّاب والمدرّسين. وأحيانًا تعطى الشهريّة في المدرسة، كما توزّع أحيانًا بشكل خاصّ.

ولا وجودَ في حوزة مشهد لشهريّات توزَّع على طلّاب مناطق محدّدة كما هو الحال في بعض الحوزات الأخرى (على سبيل المثال: شهريّة خاصّة بطلّاب قوشان أو نيشابور أو...).

ونكرّر ما ذكرناه من أنّ هذه الشهريّات تؤمَّن من سهم الإمام الذي يُدفع من عامّة الناس وليس لها أيُّ ربطٍ بأموال الوقف.

الفصل الثاني: المؤسّسات التابعة للحوزة

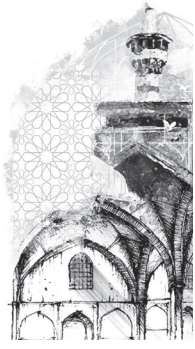

مكتبات الحوزة العلميّة في مشهد

تُعَدُّ مكتباتُ الحوزة العلميّة في مشهد من أهمّ المؤسّسات التابعة للحوزة، ويمكنُ ملاحظةُ الوضعِ المتردّي لهذه المكتبات بالنظر إلى قلّة عدد الكتب والمكتبات المهمّة فيها، مضافًا إلى تأثير أحداث ما قبل شهر شهريور ١٣٢٠ ش.

أمّا الآن، فأكثرُ مدارس الحوزة العلميّة في مشهد لديها مكتبات، ولذلك يقوى الظَّنُّ أنّ المؤسِّسين لبعض المدارس العلميّة قد أسّسوا في الوقتِ نفسِه مكتبةً في كلّ مدرسةٍ ليستفيدَ منها طلّابُ هذه المدرسة أو غيرهم من عامّة الناس. لكن فيما بعد بدأتْ هذه المكتباتُ تفقد رونَقَها تدريجيًّا وأخذ وضعُها يسوءُ أكثر بسبب إهمال المتصدّين لها، وهذا الإهمال نتاج لعدم اهتمام عمومِ الإيرانيّين بالكتب والمكتبات. ومع الأسف، فقد أتت الحشراتُ على كثيرٍ من الكتب فأتلفتها.

وقد تأثّرت الحوزةُ العلميّةُ في مشهد سلبًا بعد سنة ١٣١٤ ش، فتفكّكت على أَثَرِ الأحداث الاجتماعيّة الحادّة، وهو ما أدّى إلى جعل هذه المدارس في قبضة المؤسّسات الحكوميّة، كالأوقاف والثقافة، وأصبح وضعُ مكتبات المدارس أكثرَ فوضويّةً من السابق.

وقد نُقِلَ بعضُ هذه المكتبات من مدارسها الأصليّة، إمّا إلى مدارس أخرى، أو إلى مكتباتٍ تابعةٍ للثقافة (مثل مكتبة دانشسراى مقدّماتى وغيرها)، وقد أدّى هذا النقل والانتقال إلى فقدان كثيرٍ من الكتب يُعْتَبَرُ بعضُها من الكتب النفيسة.

وبعد شهر «شهريور» ١٣٢٠ ش ـ حيث عادت حوزة مشهد العلميّة إلى ممارسة أنشطتها من جديد واستلم طلّاب العلوم الدينية مدارِسَهم ـ لم يطرأْ فيما يَخُصُّ المكتبات أيُّ أمرٍ ذي بال؛ لم يسمح انهماكُ رؤساء الحوزة العلميّة في إعادة بناء الحوزة وتشكيلاتها بأن تأخذ المكتبات حيّزًا من اهتمامهم. ولكن بالتدريج ـ بعد أن تحسّن وضعُ بعض المدارس ـ تصدّى بعضُ المسؤولين لإعادة إحياء المكتبات التي فُقدت، فأرجَعوا بعضَ الكتب التي كانت قد نُقلت من مدرسة إلى أخرى، وأَخَذَتْ بعضُ المكتبات بالتشكّل من جديد.

ومع ذلك بَقِيَتْ بعضُ الكتب بأيدي المؤسّساتِ التابعةِ لإدارةِ الثَّقَافَةِ. ومن الطبيعيّ أنّ الكتب التي ضاعت لم تجدْ طريقَ العودة إلى هذه المكتبات الجديدة. أمّا الآن ـ مع مرور الزمن والسعي الخجول في تنمية مكتبات حوزة مشهد من قِبَل بعض الأفراد المهتمّين بالكتب والمكتبات ـ فنجدُ أنّ المكتباتِ توجَدُ في أغلبِ مدارسِ هذه الحوزة، ويُمْكِنُ القولُ: إنّ بعضَها يُعْتَبَرُ من المكتبات المهمّة. ونأمل في المستقبل أن تجد هذه المكتبات طريقَها إلى النموّ والتوسّع لتكتسب مزيدًا من الأهمّيّة.

وأهمّ مكتبات الحوزة العلميّة في مشهد هي:

١- مكتبةُ مدرسة نوّاب[١]

أسّس هذه المكتبةَ الميرزا أبو صالح نقيب رضويّ، وهو نفس الشخص الذي بنى مدرسة نوّاب. فبعد أن أنهى بناء هذه المدرسة (سنة ١٠٨٦ ق)، شرع في بناء هذه المكتبة، واشترى لها مقدارًا معتدًّا به من الكتب. وبعد وفاته صارت الكُتُبُ تُوقَفُ تِبَاعًا لصالح هذه المكتبة، ومن بين ما تمّ وَقْفُهُ مخطوطاتٌ نفيسة.

وعندما تهدّمت مدرسة فاضلخان المشهورة الواقعةُ في ضواحي مدينة مشهد (١٣١٠ ش) نُقِلَتْ مكتبتُها التي تُعْتَبَرُ من أفضل مكتبات مشهد إلى مكتبة مدرسة نوّاب، فاكتسبت بذلك أهمّيّةً زائدةً.

وفي سنة ١٣١٢ ش ـ عندما تحوّلت مدرسة نـوّاب إلى مدرسة للمعقول والمنقول وأصبحت تحت نظر وزارة العلوم والأوقاف ـ أُهْدِيَ كثيرٌ من الكتب لهذه المكتبة من قبل الناشرين ومؤسّسات الطبع والنشر. وبعد أن أُقفِلَتْ كُلّيّةُ المعقول والمنقول التي أُسِّست مكان مدرسة ميرزا جعفر، نُقِلَتْ كُتُبُهَا وكُتُبُ سائر المدارس العلميّة في مشهد إلى هذه المكتبة، وقد جعلت لمدّةٍ قصيرةٍ كُتُبُ المكتبةِ الثقافيّةِ تحت هذه المكتبةِ أيضًا، فأصبحت مكتبةُ مدرسة نوّاب بذلك مكتبةً مهمّةً إلى حدٍّ ما، ومليئةً بالكتب المتنوّعة. لكن بعد ذلك أُعِيدَ عددٌ من الكتب إلى

(١) للاطّلاع على هذه المكتبة، انظر: مقالة كاظم مدير شانه چي في الرقم ٢٥ من رسالة العتبة الرضويّة.

المكتبات التي أُحضرت منها ولم يبقَ فيها إلّا كُتُبُ مكتبة فاضلخان التي صارت جُزْءًا من هذه المكتبة.

لكن في المدّة الواقعة ما بين سنة ١٣١٤ و١٣٢٠ ش تُرِكَتْ هذه المدرسةُ، وأصبح كثيرٌ من كتبها بيد بعض الأفراد والمؤسّسات المختلفة، لكن بعد التنظيم الجديد للحوزة ومتابعة المسؤولين أُصلحت بعضُ الكُتُبِ القديمةِ والتي كانت قد تآكلت، ودُوِّنَ فهرستٌ للكتب مؤلّفٌ من مجلّدين. وصار عددُ الكتب يزدادُ يومًا بعد يوم، حتى صارت تُعَدّ هذه المكتبةُ اليومَ من أهمِّ مكتباتِ الحوزة العلميّة في مشهد؛ إذ إنّه مُضافًا إلى كثرة عدد الكتب التي تحتويها مقارَنَةً بمكتبات سائر المدارس، تَشْتَمِلُ هذه المكتبةُ على عددٍ من المخطوطات النفيسة التي لم يطبع بعضها إلى الآن، وبعضها نُسَخٌ بخطِّ بعض علماء الشيعة الكبار. كما تمتازُ هذه المكتبة بتنوُّعِ كتبها؛ فهي تَشْتَمِلُ على كُتُبٍ في موضوعاتٍ مختلفةٍ وعلومٍ مختلفة، كالفلسفة والطب والفقه واللغة والحديث.

يصلُ عددُ كُتُبِ هذه المكتبة إلى ٣٦٢٦ مجلّدًا، ٨١٣ مجلّدًا منها من المخطوطات و١٩٩٢ مجلّدًا من الكتب المطبوعة، وما بقيَ عبارةٌ عن مجلّات.

والاستفادةُ من خدمات المكتبة مُتاحَةٌ لعمومِ الناس، مضافًا إلى وجود نظام إعارة للكتب خاصٍّ بطلّاب مدرسة نوّاب.

٢- مكتبةُ مدرسة ميرزا جعفر[١١]

كانت هذه المدرسة في القديم مشتمِلَةً على مكتبةٍ جيّدةٍ، وقد كانت مكتبة مدرسة فاضلخان ـ قبل هدمها وانتقالها إلى مدرسة نوّاب ـ مدّةً من

الزمن في مكتبة هذه المدرسة، لكن في السنوات الماضية أُتْلِفَ بعضُ كُتُبِهَا على يد عددٍ من الأفراد، وانتقل بعضُها إلى مكتبة العتبة الرضويّة، وإلى مكتبة مدرسة نوّاب، وكان ذلك بسبب تصرّفات المتصدّين لإداراتها.

وفي سنة ١٣٣٠ ش تقريبًا وُقِفَ عددٌ من الكتب لصالح هذه المكتبة، كما أنّه استُعيدَ عددٌ من الكتب التي كانت قد نُقِلَتْ سابقًا إلى مكتبة مدرسة نوّاب. فتشتملُ هذه المكتبةُ الآن على ما يقرُب من ٣٠٠٠ مجلّدٍ؛ ٣٠٠ مجلّدٍ منها من المخطوطات، والبقيّةُ موزّعةٌ ما بين كتبٍ مطبوعةٍ ومجلّاتٍ. والاستفادةُ من خدمات هذه المكتبةِ بالمطالعة والاستعارة مُتاحةٌ لجميعِ النّاسِ.

٣- مكتبةُ مدرسة خيراتخان[١٢]

لا يُعلمُ تاريخُ تأسيسِ هذه المكتبة بالدِّقّة، غيرَ أنّه وُقِفَ بعضُ كُتُبِهَا في سنة ١٢٧٧ ق. وفي سنة ١٣٠٣ ق وَقَفَ نصرت الملك عليمردان خان تيموري لهذه المكتبة مئتي مجلّدٍ ما بين مخطوطٍ ومطبوعٍ، وتعرّضت هذه المكتبةُ لغزواتٍ من الحشرات، فتَلِفَ كثيرٌ منها بسبب إهمال القيّمين عليها وقلّة مبالاتهم.

الآن، تحتوي مكتبةُ مدرسة خيراتخان ما يقرُب من ٤٠٠ مجلّد بين مخطوطٍ ومطبوعٍ دون أن يكونَ لها فهرستٌ للموجودات، بل ليست المكتبةُ في وضعٍ يسمَحُ للطلّاب بالاستفادة منها.

ويشتمِلُ عددٌ من المدراس الأخرى في مشهد على مكتبات، كمدرسة دو درب[١٣] ومدرسة سليمانخان ومدرسة حاج حسن[١٤] وغيرها، لكنّها ليست تحت رعاية مسؤول محدّد أو مهتمّ. أضف إلى ذلك عدم وجود

فهارس على الأقلّ تفيدُنا بما فيها من محتويات؛ لذا تتآكَلُ هذه المكتباتُ يومًا بعد يوم.

٤- مكتبة مدرسة عباس قليخان

ليس لهذه المكتبة سابقةٌ تاريخيّةٌ، فقد أسّست سنة ١٣٣٤ ش حيث وُقِف فيها ٢٠٠ مجلّد، بعضُها مخطوطٌ وبعضُها مطبوعٌ. وابتداءً من سنة ١٣٤٣ ش، أَخَـذَتْ هذه المكتبةُ بالتطوُّر بسبب همّة الطلّاب الشرقيّين المقيمين فيها، ونظّموا هذه المكتبة، حيث وضعوا الكتب في مكتبات مخصّصة، وجعلوا فيها قاعة مطالعة.

يصلُ عددُ كُتُبِهَا إلى ١٥٠٠ مجلّد. والآن، يستفيدُ من هذه المكتبة طُلَّابُ هذه المدرسة وغيرهم من المراجعين، وفيها نظامُ إعارةٍ خاصٍّ بطلّاب العلم.

الفصل الثالث: البرامج الدرسيّة في حوزة مشهد العلميّة

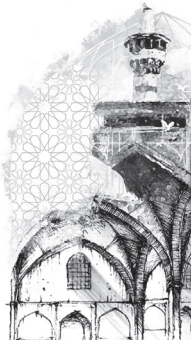

١- المراحل الدرسيّة

تُوَزَّعُ الدروس في حوزة مشهد العلميّة على ثلاث مراحل:

أ- مرحلةُ المقدِّمات

تشتملُ هذه المرحلَةُ على علوم اللغة العربيّة ـ أي: الصرف والنحو والمعاني والبديع ـ والمنطق. وقد كان لهذه المرحلة أهمّيّةٌ كبيرةٌ ضمن الدراسة الحوزويّة في حوزة مشهد العلميّة، ولا تزالُ هذه الأهمّيّة إلى وقتنا الحاضر. وتدرَّس موادُّ هذه المرحلة بشكل مفصّل، وهي تدرّس أيضًا في الحوزات الكبرى. والمعدّل الوسطي لهذه المرحلة يبلغ خمس سنواتٍ.

ب- مرحلةُ السُّطوح

يدرّس في هذه المرحلة الفقهُ والأصولُ بشكلٍ نصفِ استدلاليٍّ واستدلاليٍّ من كتب محدّدة. ويدرس الطلّابُ أيضًا في هذه المرحلة الكتب المشتملة على أبواب مختلفة في الفقه والأصول عند أستاذ. كما أنّ بعضَ الطلّاب يدرسون في هذه المرحلة جُـزْءًا من الفلسفة والكلام. وتحتاجُ هذه المرحلة أيضًا إلى ما يقارب خمس سنوات معدّلًا وسطيًّا.

ج- مرحلةُ بحث الخارج

وتُعَدُّ هذه المرحلة النهائيّة في البرنامج الدراسيّ للحوزة، وتشتملُ على الفقه والأصول الاستدلاليَّين بشكلٍ مفصَّل. ولا يدرَّس في هذه المرحلة كتابٌ محدّدٌ، بل تدرّس عند أستاذ ذي مقام علميٍّ عالٍ، حيثُ يذكر عنوان المسألة الفقهيّة أو الأصوليّة التي يريد أن يبحثَها، ثُمَّ يذكُرُ أدلَّتَها العلميّةَ[1]، ثمّ بعد ذلك يبيّنُ أهمَّ آراء المجتهدين السابقين، ويحقّقُ في المسألة تحقيقًا كاملًا وكافيًا، بحيثُ يصلُ إلى رأيٍ خاصٍّ فيها، معتمدًا على البراهين والاستدلالات العقليّة والنقليّة.

وليس لهذه المرحلةِ مُدَّةٌ معيّنةٌ، بل يبقى الطالبُ مستمرًّا فيها إلى أن يصل إلى مرحلةٍ يكونُ فيها قادرًا على استنباط الأحكام الشرعيّة (مَلَكَة الاجتهاد).

وليس في حوزة مشهد العلميّة ـ حالُها حالُ سائر الحوزات الدينيّة ـ صفوفٌ أو مراحل خاصّة لتعليم اللغة الفارسيّة ـ على مستوى محوِ الأمّية ـ بل يجبُ على الطالب قبل الدخول إلى الحوزة أن يكونَ قد تعلّم القراءة والكتابة.

٢- الموادُّ الدراسيّة

الموادُّ الدراسيّة في حوزة مشهد هي على الشكل التالي: اللغة العربيّة، والأصولُ، والفقهُ، والعلوم العقليّة.

---

(١) لمزيدٍ من الاطّلاع على مدارك استنباط الأحكام الشرعيّة، انظر: كتاب **تشكيلات مذهب شيعه**، قسم الاجتهاد.

اللُّغَة العربيّة

أوّلُ مادّتين يَدْرُسُهُمَا الطالبُ عند دخوله إلى حوزة مشهد العلميّة هما علما الصَّرْف والنَّحْو، حيث يدرس الطلّاب كُتُبًا متعدّدةً ومفصَّلةً في هذين العلمين. ويدرسون قواعدَ اللغة العربيّة بشكلٍ كاملٍ وبنحوٍ استدلاليٍّ، حتّى يصبحوا مسلَّطين على القواعد العربيّة للصَّرْف والنَّحْو. وبعد ذلك، يشرُعُون في دراسة علم البلاغة العربيّة المشتمل على فنّ المعاني والبيان والبديع.

ويجبُ على من يريد التخصُّصَ في علم الفقه أن يـدرُسَ علوم العربيّة؛ لأنّ أهـمَّ الأدلّـةَ الفقهيّةَ عند الشيعة ـ وهي الكتابُ (أي: القرآن الكريم) والسنّة (أي: الروايات التي وصلتنا عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة عليهم السلام) ـ هي باللُّغَة العربيّة، فلا بدّ من الإلمام الكامل بها وبقواعدها، حتى يتمكَّنَ الطالبُ من فهمها بشكلٍ صحيحٍ.

أصول الفقه

المادّةُ الدراسيّةُ الثانيةُ في حوزة مشهد هي مادّةُ أصول الفقه. فَعِلْمُ أصول الفقه يبحث عن القواعد العقليّة والنقليّة التي يبتني عليها استنباطُ الأحكام الفقهيّة. لذا، تُعَدُّ دراسةُ هذا العلم من أهمّ أركان الفقاهة. فبعد أن يُنْهِيَ الطلّابُ دراسةَ اللغة العربيّة، يشرُعُون في دراسة علم أصول الفقه بالتزامن مع دراستهم لعلم الفقه؛ فيبدأون بدراسة أوّل الكتب الدراسيّة المحدّدة في علم الأصول، فيحضرونها عند الأساتذة.

وبعد أن يُنهُوا دراسةَ هذه الكتب الأصوليّة، يُمكِنُهُم المشارَكةُ في دروس بحث الخارج في علم الأصول. ويتّضحُ بذلك أنّ علم أصول الفقه

كعلم الفقه، يدرسه الطالب في مرحلتي السطح والخارج. غاية الفرق بين هاتين المرحلتين: وجودُ كُتُبٍ درسيّةٍ خاصّةٍ مؤلّفة في هذا العلم تدرس في مرحلة السُّطوح، أمّا في مرحلة الخارج، فيحضر الطالب هذين العلمين لدى أساتذة أكفاء علميًّا، فيبيّنون له أهمّ التحقيقات الأصوليّة وآخرها بشكل أكثر تحقيقًا، ويفسحون المجالَ لطلّابهم في التفكير والتحقيق في هذه المسائل مع الالتفات إلى أنّ دراسةَ مرحلة الخارج لا تعتمدُ على كتابٍ خاصٍّ.

الفقه

وأمّا علمُ الفقه، فهو من أهمّ الموادّ الدراسيّة في حوزة مشهد. فبعد أن يدرُسَ الطالبُ الموادَّ التمهيديّةَ والضروريّةَ لدراسة الفقه يشرُعُون في دراسته.

فيبدؤون هذه الدراسة بنحوٍ بسيطٍ عَبْرَ دراسةِ كُتُبٍ نِصْفِ استدلاليّةٍ. ثمّ شيئًا فشيئًا يدرُسون كُتُبًا أعمقَ من حيثُ الاستدلالُ بنحوٍ يناسبُ تطوُّرَهُم الفكريّ واستعدادَهُم الذهنيّ. إلى أن يصلوا إلى مرحلةِ بحثِ الخارج، حيثُ تُحَدَّدُ مسألةٌ فقهيّةٌ، فيبحثُ فيها عن أهمِّ آراء فقهاء الشيعة العظام، وأحيانًا يتعرّضُ فيها لآراء فقهاء أهل السُّنّة، ثمّ تُعرَضُ الأدلّةُ العقليّةُ والنقليّةُ التي يمكن الاستدلالُ بها وتُنَاقَش.

وفي الحقيقة، تعدُّ مادّةُ الفِقْهِ المادّةَ التخصُّصيّةَ لكلِّ المتخرّجين من الحوزات العلميّة الشيعيّة، ومن أجلها يدرسون الموادّ التمهيديّة (أيّ علوم اللغة وعلم أصول الفقه) بشكلٍ مُفَصَّلٍ ومُوَسَّع، بحيثُ يصبحون ملمّين بهذه الموادِّ التمهيديّة. وبعد أن يصلَ الطالبُ إلى مرحلة الاجتهاد

ويستغني عن الحضور في درس الأستاذ، لا يترك البحثَ والتحقيقَ في مسائل علم الفِقه وفروعه.

العلوم العقليّة

تُدرَّسُ العلوم العقليّةُ أيضًا في الحوزة العلميّة لمشهد، مضافًا إلى الموادِّ السابقة. وتشتملُ هذه العلوم العقليّةُ على المنطق والكلام والحكمة. ويُعَدُّ علمُ المنطق من مقدّمات علم الفِقه، مضافًا إلى كونه مقدِّمةً أساسيّةً لفهمِ عِلْمَي الكلام والحكمة. ولذلك، يبدأُ طلّاب العلوم الدينيّة في حوزة مشهد بدراسةِ كتب المنطق بالتزامُن مَعَ دراستهم لكتب اللغة العربيّة في مرحلة المقدِّمات.

أمّا علما **الكلام والحكمة**، فهما علمان مستقلّان ولهما أهدافٌ مستقلّةٌ وغيرُ مرتبطةٍ بعلم الفقه. وفي الوقت الراهن، لا يوجد رواجٌ لدراسة الحكمة في حوزة مشهد، أمّا علم الكلام فهو يُدرّس في هذه الحوزة منذ زمنٍ بعيدٍ.

وفي الحوزة العلميّة لمشهد موادُّ دراسيّةٌ أخرى إلى جانب هذه الموادِّ الدراسيّةِ الأربعِ، من قبيل: التفسير والأخلاق. لكنّها لا تُعَدُّ موادَّ أساسيّةً وجزءًا من البرنامج الدرسيّ لطلّاب الحوزة.

٣- الدروس والكتب الدراسيّة

كُتُبُ اللُّغَةِ العَرَبِيَّة

أوّلُ كتابٍ يُدرَس في اللغة العربيّة في حوزة مشهد العلميّة هو كتاب **جامع المقدّمات**، ويشتملُ على أكثرَ من رسالةٍ عربيّةٍ وفارسيّةٍ في عِلْمَي الصَّرْف والنَّحْو، ورسالة في اللغة الفارسيّة في علم المنطق. وقد وضعت الرسائل الدرسيّة باللُّغة الفارسيّة؛ لأنّ الطالبَ في أوائل حياته العلميّة لا يكون قادرًا على دراسة النصوص والكتب باللغة العربيّة.

نعم، بعد أن يدرس هذه الرسائل باللغة الفارسيّة، يدرس بقيّة رسائل هذا الكتاب المدوّنة باللغة العربيّة. ويدرس هذا الكتاب في صفوف خاصّة وصغيرة، فلا تُعقد له في الحوزة دروسٌ عامّةٌ وكبيرةٌ.

وبعد أن يُنْهِيَ الطالبُ دراسةَ بعض رسائل الصَّرْف والنَّحْو من هذا الكتاب، يشرع بدراسة أول كتاب نصفِ استدلاليٍّ في علمي النَّحْو والصَّرْف باللغة العربيّة، وهو كتاب **البهجة المرضيّة**؛ فهو من كتب النحو والصرف المشهورة. وقد ألّفه جلال الدين عبد الرحمن السيوطيّ (المتوفّى في سنة ٩١٠ أو سنة ٩١١ ق).

ويطّلع الطلّابُ على قسمٍ مهمٍّ من القواعد الصرفيّة والنحويّة بعد دراسته. بعد ذلك، يصلُ الدورُ إلى كتاب **مغني اللبيب** الذي كتبه جمال الدين عبد الله بن يوسف المعروف بابن هشام (المتوفّى سنة ٧٦١ ق)، ويعدّ من أهمِّ الكُتُبِ النحويّة وأكثرِها تفصيلًا، ويشتمل على قواعد دقيقة في علم النَّحْو.

وبدراسة هذا الكتاب، يكون الطالب قد أنهى دراسة الصَّرْف والنَّحْو، ليبدأَ بعد ذلك بدراسة كتاب البلاغة المشتمل على فنّ المعاني والبيان والبديع، من خلال دراسة كتاب **المطوّل** المشهور الذي ألّفه سعد الدِّين مسعود التفتازانيّ، وهو من كبار أدباء القرن الثامن (المتوفّى سنة ٧٩١ أو ٧٩٢ ق). وهذا الكتاب مرتّب على ثلاثة أقسام: المعاني، البيان، والبديع. وعادةً ما يدرسه الطالب بالتزامُن مع دراسته كتاب **الحاشية على التهذيب** الذي هو كتاب مشهور في علم المنطق ومكتوب بنحوٍ مكثّف وجامع. وبدراسة هذين الكتابين، تنتهي المرحلة الأولى. وعادةً ما تستغرق خمس سنوات.

دروس علم الأصول وكتبه

أمّا الـدُّروسُ والكُتُبُ الدرسيّةُ المرتبطةُ بعلم الأصول، فأوّلُ كتابٍ يبدأ الطالب بدراسته هو كتاب **معالم الأصول** لمؤلّفه الشيخ حسن بن زين الدّين (المتوفّى سنة ١٠١١ ق)، ويشتملُ هذا الكتابُ تقريبًا على دورةٍ أصوليّةٍ كاملة. وعلى الرَّغم من كونه كتابًا استدلاليًّا، إلّا أنّه مكتوبٌ في زمنٍ لم يكن علم الأصول قد توسَّعَ بعدُ، وكانت أبوابُهُ محدودةً. وقد كُتِبَ باختصارٍ وإيجازٍ، ولذلك يكونُ مناسبًا للطلّاب الذين يريدون البدء بدراسة علم الأصول. وقد اختير هذا الكتاب بوصفه أوّلَ كتابٍ درسيٍّ في علم أصول الفقه. أمّا في الفترة الأخيرة، فيرى بعض الأساتذة أنّ كتاب **أصول الاستنباط** الذي كتبه السيد علي نقيّ الحيدريّ ـ وهو من علماء العراق المعاصرين ـ أكثرَ فائدةً من كتاب **المعالم**. لذا، تراه يوصي بدراسته بدلًا من دراسة كتاب **المعالم**. وعلى الرَّغم من كونه مكتوبًا باختصارٍ وإيجازٍ، إلّا أنّه يشتملُ على زبدة أحدث الآراء الأصوليّة بأسلوب بسيطٍ وسَلِسٍ.

وبعدَ أن يُنْهِيَ الطالبُ دراسةَ كتاب **معالم الأصول** أو كتاب **أصول الاستنباط**، يشرُعُ بدراسة الكتاب الثاني في علم الأصـول، وهو كتاب **قوانين الأصول** لمؤلِّفِه الميرزا أبي القاسم گيلانى المعروف بالمحقّق القمّيّ (المتوفّى سنة ١٢٣١ ق)، وهو كتابٌ في مجلّدين ضخمَين يعرض المباحث الأصوليّة بشكلٍ استدلاليٍّ. وقد كانت حوزةُ مشهد العلميّة فيما مضى، تدرّس هذا الكتاب إلى وسطه (إلى مبحث الأوامـر)، وكان من المشهور في ذلك الوقت أنّه كتابٌ مُشتمِلٌ على عباراتٍ ومطالبَ صعبةٍ، بحيث متى ما دَرَسَهَا الطالبُ صار عنده قدرةٌ ذهنيّةٌ عاليةٌ ومَلَكَةٌ في التحقيق. لكن قلّما يُدرَس هذا الكتاب في هذا الزمان، وضَعُفَ شَوْقُ الطلّابِ إلى دراسة أبحاثه القديمة المشتملةِ على كثيرٍ من النقد والإبرام.

أمّا الكتابُ الدراسيُّ الثالثُ، فهو كتابُ **فرائد الأصـول** المعروف بالرسائل. وهو أَحَـدُ مؤلّفات العلّامة الكبير الشيخ مرتضى الأنصاريّ (المتوفّى سنة ١٢٨١ ق)، ويشتملّ على ثلاثة مباحث، هي: القطعُ والظّنُّ والأصول العمليّة. ومع ذلك، فهو يُعَدُّ من أمّهات الكتب الأصوليّة التي يهتمّ بها الفقهاء والأساتذة ويعتمدون عليها.

وأمّا آخرُ كتابٍ دراسيٍّ في علم الأصول، فهو كتابُ **كفاية الأصول**، وهو متأخّرٌ أيضًا زمانًا عن الكتب الدراسيّة السابقة. وقد كتبهُ الآخوندُ محمّد كاظم الخراسانيُّ (المتوفّى سنة ١٣٢٩ ق)، وهو كتابٌ صغيرُ الحجم قصيرُ العبارة مشتملٌ على كلّ الأبحاث الأصوليّة. وقد اختير بوصفِهِ آخرَ كتابٍ درسيٍّ في علم الأصول؛ لاختصارِهِ وجامِعِيَّته لكلّ المطالب الأصوليّة التي أدّت إلى صعوبة فهمها.

وبعد أن يُنْهِيَ الطالبُ دراسةَ هذه الكتب الأصوليّة، يشرُعُ في حضور دروس الخارج في علم الأصول. فيبدَأُ بتعلُّم التحقيقات الأصوليّة الجديدة عند أستاذٍ عالي المقام على النحو الذي مرّت الإشارة إليه.

دروس علم الفقه وكتبه

وأمّا الدروسُ والكُتُبُ المرتبطةُ بمادّة الفِقه، فأوّلُ كتابٍ درسيٍّ يدرُسُهُ الطالب بالتزامن مع دراسته لكتب **المعالم** و**القوانين** هو كتابُ **الروضة البهيّة** المعروف بشرح **اللمعة** لمؤلّفه الشيخ زين الدين المعروف بالشهيد الثاني (المتوفّى سنة ٩٦٦ ق)، ويشتملُ هذا الكتاب على دورةٍ فقهيّةٍ كاملةٍ بمنهجِ نصفِ استدلاليٍّ. ومن خلال دراسته يصبحُ الطالبُ مطَّلِعًا على كلّ الأبواب الفقهيّة ومُستأنِسًا بكيفيّة الاستدلالات الفقهيّة وكيفيّة استنباط الأحكام من أدلّتها. وبعد أن يُنْهِيَ هذا الكتاب، يصبحُ الطالبُ مستعدًّا لِفَهْمِ المطالبِ الفقهيّةِ العالية لكتاب **المكاسب** الذي هو أحد المؤلّفات الأخرى للشيخ مرتضى الأنصاريّ. وعلى الرَّغم من أنّ هذا الكتاب يشتملُ على ثلاثة مباحث فقط ـ وهي المكاسب المحرّمة والبيع والخيارات ـ، إلّا أنّه يُعَدُّ من أشهرِ الكُتُبِ الفقهيّةِ، ويعتمدُ عليه الفقهاء والأساتذة بسبب استدلالاته العميقة وتحقيقاته العالية، بل إنّه يُستفادُ من مطالبِهِ أيضًا في الدروس الفقهيّة لمرحلة بحث الخارج، فَتُنَاقَشُ وتقعُ موردًا للرّدّ والقَبُول. وعادةً ما يدرس الطلّابُ هذا الكتابَ بالتزامن مع دراستهم لكتابي **الرسائل** و**الكفاية**. وبعد أن يُنْهُوا دراسةَ هذا الكتاب الفقهيّ، يصبحون مستعدّين للمشاركة في مرحلة بحث الخارج في علم الفِقه الذي يُعدّ من أعلى الدروس في الحوزة العلميّة. ويستمرُّ الطالبُ

في المشاركة في هذا الدرس إلى أن يصبح لديه القدرةُ على استنباط الأحكام الشرعيّة.

دروس العلوم العقلية وكتبها

وأمّا فيما يرتبطُ بعلم المنطق في حوزة مشهد العلميّة فعادةً لا يُدرَسُ منها غير كتابين: أحدهما: رسالة باللغة الفارسيّة كتبها السيّد الشريف الجُرجَانِيُّ (المتوفّى سنة ٨١٦ ق)، وهي جزءٌ من كتاب **جامع المقدّمات**، وعادةً ما تُدرَس هذه الرسالة بالتزامُن مع دراسة كتاب **البهجة المرضيّة** أو **المغني**؛ أي: في أواسط مرحلة المقدِّمات. وأمّا الكتاب المنطقيّ الثاني فهو كتاب **الحاشية على تهذيب المنطق** لمؤلّفه الملّا عبد الله اليزديّ (المتوفّى سنة ٩٨١ ق)، وهو كتاب باللغة العربيّة يَشْتَمِلُ على أبحاث منطقيّة مفصّلة ومحقّقة. وعادةً ما يدرس في عرض دراسة كتاب **المطوّل**؛ أي: في أواخر مرحلة المقدّمات. وإن كان طالب العلوم الدينيّة ذا ميلٍ إلى التعمّق في العلوم المنطقيّة، فإنّه يدرس بعد هذين الكتابين قسمَ المنطق من شرح منظومة السبزواريّ المسمّى **اللآلئ المنتظمة** عند أحد الأساتذة. وهـذا الكتابُ ـ الـذي يُعدُّ القسمَ الأوّلَ من الكتاب المشهور بشرح المنظومة الذي ألّفه المُلّا هادي السبزواريّ (المتوفّى سنة ١٢٨٩ ق) ـ غيرُ رائجٍ فِعلًا في حوزة مشهد العلميّة، ولا يميل الطلّاب إلى دراسته.

وأمّا فيما يرتبطُ بكتب الحِكْمَةِ والفلسفة الإلهيّة، فيدرس الطلّاب قسم الحكمة من كتاب **شرح المنظومة** وكتاب **الأسفار** لمؤلّفه صدر المتألّهين الشيرازي المعروف بالملّا صدرا (المتوفّى سنة ١٠٥٠ ق). وهما الكتابان الدراسيّان المشهوران في هذا العلم. ويدرسهما من يميل إلى دراسة الحكمة في مدّة تتراوحُ بين ثماني سنواتٍ وعشرِ سنواتٍ. لكن

ـ كما أشرنا سابقًا ـ علم الحكمة قليلُ الرواج في حوزة مشهد العلميّة، ولا تعقد له الحوزاتُ العلميّةُ دروسًا عامّةً لتدريسه؛ لذا يتحتّمُ على المهتمّين به أن يدرسوا هذين الكتابين في دروس خاصّة.

أمّا فيما يرتبطُ بعلم الكلام، فثمّةَ كُتُبٌ درسيّةٌ متعدّدةٌ. وإلى فترةٍ قريبةٍ، كانت الحوزةُ العلميّةُ تـدرّس هذا العلم على شكل درسٍ في المعارف الإسلاميّة، وردًّا على المطالب الفلسفيّة، دون الاعتماد على كتاب خاصّ. أمّا في الآونة الأخيرة، فقد بدأت الحوزة بتدريس كتابين في علم الكلام هما: **شرح تجريد الكلام** لمؤلّفه جمال الدين الحسن بن يوسف المعروف بالعلّامة الحلّيّ (المتوفّى سنة ٧٢٦ ق)، وكتاب **شرح الباب الحادي عشر** لمؤلّفه الفاضل المقداد (المتوفّى سنة ٧٢٦ ق).

الدروس المتفرّقة

ثَمَّ دروسٌ متفرّقةٌ أخرى غيرُ مرتبطةٍ بهذه الموادِّ الأربعِ (اللغة العربيّة وأصول الفقه والفقه والعلوم العقليّة)، وفي أكثر من فرع من العلوم الإسلاميّة التي يمكن ـ بل التي كان يجب ـ أن تعدّ جُزْءًا من البرنامج الرسميّ للحوزات العلميّة الشيعيّة. وبعض هذه الموادِّ والفروع لها مدخل في الاجتهاد واستنباط الأحكام الشرعيّة ـ وهو هدف مادّة علم الفقه ـ فيجبُ دراستُها، مثل: الرِّجال، والحديث، والدراية... وبعضها الآخر ـ مضافًا إلى كونها مفيدةً في عمليّة الاستنباط ـ له هدفٌ مستقلٌّ أيضًا، مثل: التفسير، والأخلاق، وتاريخ الإسلام...

وما يُـدرّس في حـوزة مشهد من بين هذه الـدروس هو التفسير والأخلاق فقط، وبصورةٍ غير رسميّةٍ أيضًا. وأمّا بقيّةُ العلوم، فتحصل من خلال المطالعات الشخصيّة.

٤- جلسات الدّرس

في أغلبِ مدارس مشهد يوجد مكانٌ باسم «المَدْرَس». هذا المكانُ عبارةٌ عن غرفةٍ كبيرةٍ فيها بساط. الهدفُ منها هو عقدُ الدروسِ الكبيرة والعامّة في المدرسة.

في الأزمنة السّابقة كان في كلِّ مدرسةٍ مَدْرَسٌ خاصٌّ أو أكثر، حيث تُعقَدُ فيه جلساتُ الدّرس الخاصّة بتلك المدرسة. أمّا في العصر الراهن، فقد انقرضت ظاهرة المَدْرَس، ولا يوجد في أيّ مدرسة من مدارس الحوزة العلميّة في مشهد مَـدْرَسٌ خاصٌّ بها؛ بل أصبحت أغلبُ هذه المدارس (جمع مدْرَس) خالية. وصارت تُعقَدُ أغلبُ الجلسات الدّرسيّة المهمّة في المساجد، لا سيّما في السّاحات المرتبطة بمسجد گوهرشاد الجامع.

وتُعْقَدُ بعضُ الدّروس في مَدْرَس بعض المدارس، مثل مدرسة ميرزا جعفر ومدرسة نوّاب. لكن ليس لهذه المدارس (جمع مَدْرَس) تبعيّة خاصّة للمدرسة.

وأمّا كيفيّةُ جلسات هذه الدّروس، فهي بحيثُ يَجْلِسُ الطلّاب على الأرض مقابل أستاذهم، فيجلس الأستاذ على الأرض مقابل الطلّاب إن كان عددُهم قليلًا؛ وأمّا إذا كان العددُ كثيرًا، فإنّه يجلسُ مقابلَ طلّابه على المنبر.

وساعةُ الـدّرس في هذا المَدْرَسِ محدّدةٌ. وغالبًا ما يبدأ الطّلاب بالتّجمّع قبل دقائق من بدء الدّرس. ويحضر الأستاذ في السّاعة المحّددة ويبدأ بدرسه. والعادةُ أن تكونَ دروسُ اللغةِ العربيّةِ والسّطوح لمدّة ساعةٍ واحدةٍ، وأمّا دروس الخارج فتتراوحُ مُدَّتُهَا بين أربعين دقيقةً وخمسين دقيقةً.

وفي دروسِ اللّغة والسّطوح يفتح الأستاذ الكتاب المحدّد أوّل السّاعة ويبدأ بقراءة بعض الأسطر من النّصّ العربيّ الذي يراد بحثُه، ثمّ يشرُع الأستاذ بتوضيحه باللّغة الفارسيّة لطلّابه، ثم يترجِمُ مجدّدًا عبارات الكتاب إلى الفارسيّة، فيقرأُ العباراتِ التي شَرَحَهَا ويترجمُها بالتدريج إلى اللّغة الفارسيّة. فإن كان يوجَدُ أثناءَ هذه الترجمة بعضُ الموارِدِ التي تحتاجُ إلى توضيح، فإنّ الأستاذ يتصدّى لتوضيحها؛ وبالتّالي تكون أبحاث الكتاب قد اتّضحتْ بشكلٍ كاملٍ للطّلاب.

وغالبًا ما يقرأُ الطُلَّابُ الدرسَ مرّةً قبل شرح الأستاذ، ومرّةً أخرى بعد الشرح. وبعد ذلك، يتباحثون في هذا الدّرس، وأكثرُ الأحيان، تكونُ مباحثاتهم هذه ثنائيّة.

وأمّا دروس الخارج، فليس لها كتابٌ محدّدٌ، بل يقرأُ الأستاذُ وطلّابه المسألةَ الّتي يبحثون عنها في كتبٍ فقهيّةٍ أو أصوليّةٍ متعدّدة، حيثُ يطرحُ الأستاذُ في مجلس درسه عنوانَ المسألةِ الّتي يريدُ أن يبحثَها، ويستفيدُ من مدارك الأحكام ـ أي: الكتاب والسُّنّة والإجماع والعقل ـ ويتعرّضُ لأقوالِ العلماء الكبار وآرائهم، ويذكر الاحتمالات والإشكالات الّتي يراها مناسبةً بنحوٍ من الشّرح والتّفصيل. وفي نهاية البحث، يذكر الأستاذُ

ما يراه صحيحًا برأيه ويستدلّ عليه، ويجيبُ أحيانًا عن بعض الإشكالات التي يذكرُها الطّلاب، ويدافعُ عن رأيِه.

ويجبُ على الطّلاب المشاركين في درس الخارج أن يرجعوا قبل الحضور إلى الدّرس إلى مختلف الكتب فقهيّة والأصوليّة، ويطّلعوا على الآراء المختلفة والمتنوّعة للعلماء الكبار السّابقين والمعاصرين فيما يرتبط بموضوع المسألة. كما يجب أن يراجعوا كتب الحديث والتّفسير فيما لو كان هناك آيةٌ أو روايةٌ مرتبطةٌ بموضوع البحث، فيتعمّقوا في فهمها والبحث عنها، حتى تُصبحَ أذهانُهم مستعدّةً للحضور في مجلس الدّرس، ويصبحوا مهيّئين لتلقّي التّحقيقاتِ الجديدةِ لأستاذهم.

وفي أثناء الدّرس، يُفسَحُ المجالُ لأيّ طالبٍ من الطّلاب للإشكال على رأي الأستاذ. وقد يطلبُ الأستاذُ في بعض الأحيان من بعض فضلاء الحوزة المشاركين في درسه أن يبيّنوا آراءَهُم في المسألة. وهكذا يتَّضحُ أنّ هذه المجالس ـ في حوزة مشهد العلميّة، وفي سائر الحوزات العلميّة الشّيعيّة ـ ميدانٌ مهمٌّ لتربية الرّوح العلميّة والتحقيقيّة عند طلّاب العلوم الدينيّة. ولا يختصُّ هذا الأمرُ بدروسِ بحثِ الخارج، بل هو موجودٌ أيضًا في دروس السّطوح، بل في دروس اللّغة.

وبعد الـدّرس يـدوّنُ الطّالبُ شرحَ الأستاذ، ويسمّى هذا التّدوين بالتّقريرات. وبعضُ هذه التّقريرات يكتُبُها الفضلاءُ المشاركون بالدّرس، ويطّلعُ عليها الأستاذ ويصحّحُها، ثُمَّ تصبحُ قابلةً للطباعة. وتعدُّ طباعة أفضل التقريرات من الأمور الشّائعة في الحوزات العلميّة الشّيعيّة الكبيرة والمشهورة ـ أي: الحوزة العلميّة في قمّ والنجف ـ. وبهذا الشّكل يصبحُ بإمكان الجميع أن يستفيدوا من التّحقيقات الفقهيّة والأصوليّة الجديدة.

ومن أهمّ التقريرات المطبوعة في حوزتي قم والنّجف نذكر:

- **بدائع الأفكار**: تقريرات درس آية الله العراقيّ.
- **فوائد الأصول**: تقريرات درس آية الله النائينيّ.
- **نهاية الأصول**: تقريرات درس آية الله البروجرديّ.
- **تهذيب الأصول**: تقريرات درس آية الله الخمينيّ.
- **دراسات في علم الأصول**: تقريرات درس آية الله الخوئيّ.

وأمّا في ما يرتبط بحوزة مشهد، فيوجد تقريرٌ وحيد قد طبع، وهو تقريرات كتاب الإجارة للشّيخ مرتضى الآشتيانيّ (المتوفّى سنة ١٣٦٥ ق)، الذي كتبه ابنُهُ المحقّق ميرزا محمود الآشتيانيّ، وطبع سنة ١٣٤٣. وإلى الآن، لم تطبع تقريراتٌ أخرى لأساتذة العصر السابق أو الأساتذة المعاصرين.

٥- الامتحان

ليس في حوزة مشهد العلميّة امتحاناتٌ على النحو المعمول به في الأنظمة الثّقافيّة الحديثة. نعم، ما يمكن أن يسمّى بامتحان في هذه الحوزة هو ما تجريه بعض المدارس لأجل قَبُول الطلّاب. وغالبًا ما يجرى هذا الامتحان بواسطة عدد من فضلاء هذه المدرسة. ويكون خاصًّا بالمدرسة الّتي تجريها ومستقلًّا عن سائر المدارس[١٥].

نعم، خصوصيّتُه أنّه يجرى في جميع المدارس على نهجٍ واحدٍ. أمّا مدرسة آية الله الميلانيّ ومدرسة جعفريّه، فهما مستثناتان من هذا الأمر، ولكلٍّ منهما امتحانٌ خاصٌّ لا يشبه هذه الامتحانات. وقد وافاك حديثٌ مستقلٌّ عن كلّ منهما.

ومن الخصوصيّات المشتركة بين الامتحان الذي تجريه مدارس مشهد نذكر:

- أنّ الهدفَ من الامتحان هو إحرازُ قابليّة الطالب للدخول إلى المدرسة؛ فيمكنُه بذلك أن يستفيدَ من عطاياها ـ أي: السكن والشهريّة ـ. ولا يحتاجُ بعد ذلك إلى امتحانٍ جديدٍ للبقاء في السكن. ولا يُجرى للطلاب امتحانٌ لارتقاء الرُّتبة؛ لأنّ الشهريّةَ واحدةٌ لكلّ الطلّاب.

- لا يشترط حدٌّ معيّنٌ من المعلومات للمشاركة في هذا الامتحان، فيمكنُ للطالب الّذي شرع لتوِّه في برنامجه الدرسيّ في الحوزة أن يشاركَ في امتحان الدّخول إلى المدارس (طبعًا، إذا توفّرت فيه الشرائط الخاصّة لكلّ مدرسة). ويُسأل كلُّ طالبٍ في الامتحان بحسب مستواه العلميّ.

- ليس هناك وقتٌ محدَّدٌ من السنة لإجراء الامتحان، بل يجرى في كلّ وقتٍ يكونُ في المدرسة مكانٌ خالٍ ويكون هناك طالبٌ يريد الدّخول. وأمّا إذا لم يكن ثمّةَ طالبٌ يريدُ أن يُمتحَنَ، أو لم يكن في المدرسة مكانٌ خالٍ، فيمكنُ ألّا يُجرى الامتحان لسنواتٍ.

- عادةً ما يكونُ الامتحانُ في كتابٍ محدَّدٍ وبشكلٍ شفهيٍّ، فيختارُ الأساتذةُ الممتَحِنون في جلسة الامتحان مسألتين من الكتاب الذي درسه الطّالب المشارك في الامتحان، ويسألونَه عنهما. ويمكنُ للطالبِ الممتحَنِ أن يقرأَ في الكتاب الذي سُئِلَ منه ثمّ يجيب.

وتجدُرُ الإشارةُ إلى أنّه لا يوجدُ امتحانٌ مقرَّرٌ كي يدخلَ الطّالبُ إلى حوزة مشهد العلميّة أو ليتلبَّسَ بالزيّ الخاصّ بالعلماء. فبإمكان كلِّ شخصٍ أن يدخُلَ إلى هذه الحوزة سنواتٍ طويلةً بشكل حُرٍّ، ويدرس ويدرّس ويمارس سائر شؤون العلماء من دون أن يكونَ مجبورًا على تأدية امتحان محدّد. نعم، غالبًا ما تُشتَرَطُ المشاركة في الامتحان للاستفادة من بعض المزايا الّتي تقدّمها الحوزة مثل السكن والشّهريّة. أمّا الشّهريّات العامّة (كما تقدّم في الفصل الثّاني من القسم الثّاني) والشّهريّات الّتي يقدّمها كبار الأساتذة للطلّاب المشاركين في درسهم والشهريّات المنحصرة بفضلاء الحوزة، فلا تتوقّفُ على أيّ امتحان.

٦- كيفيّة الحصول على مرتبة الاجتهاد

الاجتهادُ عبارة عن القدرة على استخراجِ الأحكامِ الشرعيّةِ واستنباطِها من الأدلّـة الأربعة، أي: القرآن والسُّنَّة والإجماع والعقل. وعندما يحصل الشخص على مَلَكَةِ الاستنباط والاجتهاد فإنّه يسمّى بالمجتهد. ولا تحصل هذه القدرة إلّا عن طريق الممارسة والاشتغال الجدّيّ بطلب العلم والتّحقيق والتّحصيل وامتلاك الاستعداد. ويُعَدُّ امتلاك الاستعداد والذّكاء الموهوب من الأمور المؤثّرة جدًّا في الوصول إلى مرحلة الاجتهاد.

ولا يوجد حدٌّ معيَّنٌ من التّحصيل للوصول إلى مرحلة الاجتهاد، بل قد يصلُ شخصٌ إليها في مدّةٍ قصيرةٍ بينما يطولُ الأمرُ كثيرًا بالنّسبة لأشخاص آخرين لا يملكون مثل هذه القدرة وهذا الاستعداد. ولكن يُمْكِنُ القولُ: بشكلٍ متوسِّطٍ يحتاجُ الطّالبُ إلى عشر سنوات من الاشتغال بالتّحصيل الدّائم والتّحقيق بعد الفراغ من مرحلة المقدّمات والسّطوح.

ويذهب طلّاب الحوزة العلميّة في مشهد ـ بعد أن يقطعوا شوطًا من التّحصيل العلميّ ـ إلى الحوزات القويّة والكبيرة، مثل: حوزة قمّ وحوزة النجف للوصول إلى الاجتهاد بشكل أسرع. ولأجل ذلك تجدُ أنّ أكثرَ المجتهدين المعاصرين تخرّجوا من هاتين الحوزتين، وقلّما استطاعت حوزة مشهد العلميّة أن تخرّج مجتهدًا مسلّم الاجتهاد.

وفي المرحلة السابقة، كانت تُعْطَى إجازةٌ كتبيّةٌ من المجتهدين وكبار العلماء للدّلالة على الاجتهاد. أمّا اليوم، فلم يَعُدْ يُعمَلُ بهذه الطّريقة، كما لم يَعُدْ طلّابُ العلوم الدّينيّة والمجتهدون الشّباب يرغبون في الحصول عليها.

٧- شروطُ قَبُول الطّلاب في الحوزة العلميّة

لا توجدُ شـروطٌ مُـحَـدَّدَةٌ لاستقبال الطّلاب الجُدُد بسبب عدم وجود تشكيلاتٍ إداريّةٍ منظّمةٍ في حوزة مشهد العلميّة. لذا، يُمْكِنُ لأيّ طالبٍ أن يدخُلَ الحوزةَ دونَ أيِّ قيدٍ أو شرطٍ. نعم، تُعَدُّ المعرفةُ باللّغة الفارسيّة شرطًا أساسيًّا للدّخول؛ لأنّ الدخولَ الرسميَّ إلى الحوزة يعني أنّ الطّالبَ سيستحقُّ الشهريّةَ والسَّكَن. وهذا متوقِّفٌ على الشروع بدراسة الكتب الخاصّة. فلا بدّ له من أن يكونَ غيرَ أميٍّ بل أن يكون مُجيدًا للّغة الفارسيّة. نعم، في المُدّةِ الأخيرة، اشترطت بعضُ الحوزاتِ أن يكونَ الطالب قد أنهى الصّفّ السادس الابتدائيّ، واشترط بعضُها الآخر أن يكونَ قد أنهى مراتب أعلى.

وعندما يلتحقُ شخصٌ بحوزة مشهد العلميّة، فإنّه يبدأُ أوّلًا بالتّردُّد على إحدى مدارسها ويشرع بالدّرس والمباحثة في تلك المدرسة، ثمّ

ـ تدريجيًّا ـ يصبحُ في عداد الطلّاب غير الرسميّين في تلك المدرسة. وَلِيُصْبِحَ هذا الطالبُ رسميًّا، فإنّه يجبُ أن تتوّفرَ فيه الشروطُ الخاصّةُ بتلك المدرسة، وأن ينجَحَ في الامتحان (إذا كان الامتحانُ شرطًا للالتحاق بتلك المدرسة)، فيمكنُهُ عند ذلك الاستفادة من العطايا الخاصّة لتلك المدرسة؛ أي: السَّكَن والعطايا المتوقّفة على الوقف. وهكذا يصبحُ الطالّبُ من الأعضاء الرسميّين في تلك الحوزة. وعادةً، أثناء هذه الفترة، يُدرَجُ اسمُهُ في سجلّ دفاتر الشهريّات العامّة.

وبعد أن يَقْضِيَ الطّالبُ الجديدُ عِدَّةَ سنواتٍ في الحوزة، يضعُ عمامة على رأسه. فالعمامةُ تعني التزيّي باللّباس الخاصّ لطلّاب العلم. وفي السَّابق، كان هناك مراسمُ خاصّةٌ لتعميم الطلّاب، حيث يجتمعُ بعض الطلّاب والمدرّسين في حلقة خاصّة، ثُمَّ يقومُ أحدُ الحاضرين فيتحدّثُ عن أهمّيّة التّبليغ الدّينيّ، ثمّ يُعَمِّمُ هذا الطالبَ الجديدَ أحدُ الأساتذةِ أو الطلّابِ ذوي التجربة. أمّا اليومُ فغالبًا ما لا يُعْمَل بهذِه المراسم.

القسم الثالث:

أساتذةُ حوزةِ مشهد العلميّة وطلّابُها

كيف يُصبِحُ الطالبُ أستاذًا؟

ثمّةَ شرطٌ واحدٌ لِكَيْ يُصْبِحَ الطالبُ في حوزةِ مشهد العلميّة أستاذًا، وهو: أن يراه المحصّلون والطلّابُ لائقًا لتدريس كتاب محدّد، ولديه الأهليّة الكافية. فعندما يجدُ بعضُ الطلّاب شخصًا أو أشخاصًا مؤهَّلين لتدريس كتاب ما، يطلبون منهم أن يشرعوا بتدريسهم. وبعد أن يشرع هذا الأستاذ بالدرس، فإن كان ذا فضلٍ وإحاطةٍ بالمطالب وله بيانٌ حسنٌ، تقبل الحوزة بأن يستمرّ هذا الأستاذ في تدريسه، ثمّ يزدادُ عَدَدُ طلّابِهِ شيئًا فشيئًا. وأمّا إذا لم يكن الأستاذُ مُحِيطًا بالمباحث أو لم يكن لديه بيانٌ حسنٌ، فإنّ طلّابَه سوف يقلّون بالتدريج، إلى أن يُعَطَّلَ درسُه. وعلى هذا الأساس، يتضّح أنّ شرطَ صيرورةِ الشخص أستاذًا مرتبطٌ باختيار الطلاب فقط.

ولا يُجبَر طلّابُ هذه الحوزة بالحضور في درسٍ خاصٍّ، بل لهم كاملُ الحرّيّةِ في اختيار الدرس والأستاذ الذي يريدونه.

وعادةً ما يشرُعُ الطلّابُ الذين لديهم الاستعدادُ ـ غالبًا بعد مرور ثلاث أو أربع سنوات على دخولهم الحوزة ـ بتدريسِ الكُتُبِ التي درسوها. فيدرّسون الطلّابَ الذين يدخلون حديثًا إلى المدرسة. وهكذا، كلّما ترقّى

هذا الطالب المدرّس في مراحله الدراسيّة، تطوّر أيضًا بلحاظ التدريس. نعم، يستثنى من هذه القاعدة مرحلة تدريس الخارج، فإنّه لا يتصدّى لهذه المرحلةِ إلّا الطلّابُ الذين قضَوا سنواتٍ بالمطالعة والتحقيق وتدريس السطوح العالية[1].

أساتذةُ بحث الخارج في حوزة مشهد العلميّة

أهمّ أساتذة بحث الخارج في حوزة مشهد العلميّة هم:

- آيةُ اللّه السيّد محمّد هادي الميلانيّ: الذي وُلِدَ في عائلة علمائيّة في العراق، وقضى عُمُرَهُ بالدّرس والتّحصيل في الحوزتين العلميّتين في النّجف وكربلاء. وقد تتلمذ على أيدي أساتذةٍ كبارٍ من قبيل: الميرزا محمّد حسين النائينيّ، والشّيخ حسين القمّيّ، والشّيخ محمّد حسين الأصفهانيّ... ويُعَدُّ من الذين تخرّجوا من حوزة النّجف. وفي سنة ١٣٧٣ ق، أتى إلى مشهد للزّيارة، فطلب منه بعضُ علماءِ هذه الحوزةِ أن يُقِيمَ في المدينة، وأن يشرُعَ بتدريس خارج الفقه والأصول. ويُعدُّ اليومَ من علماء الصفّ الأوّل عند الشّيعة، فهو من مراجع التّقليد. وقد جعلت الحوزة درسَهُ في اللّيل، في السّاحة الغربيّة لمسجد گوهرشاد الجامع.

- آيةُ الله الشيخ حسن القمّيّ: كان أبوه (الشيخ حسين القمّيّ المتوفّى سنة ١٣٦٦ ق)، من العلماء الكبار ومراجع التقليد، وكانت له مكانةٌ علميّةٌ واجتماعيّةٌ مرموقةٌ. وبعد أن توفيَ والدُه، سافر الشّيخ حسن القمّيّ من العراق إلى إيران، وسكن في مشهد، وشرع بالتّدريس

(١) آخر كتب مرحلة السُّطوح.

وإقامة صلاة الجماعة، وتصدّى لبعض الأمور الاجتماعيّة. وتدريجيًّا صارت له موقعيّةٌ اجتماعيّةٌ خاصّةٌ ومحبوبيّةٌ عند الناس، حتى غدا في السنوات الأخيرة من علماء الطراز الأوّل في خراسان. ويُعدّ الآنَ من مراجع التقليد. وقد جعلت الحوزة الآن درسَهُ في الصباح، في الساحة الغربيّة لمسجد گوهرشاد الجامع.

- الميرزا جواد آقا الطهرانيّ: وُلِدَ في عائلةٍ غيرِ علمائيّةٍ، وبدأ دراستَهُ في الحوزتين العلميّتين لقمّ والنّجف. ثمّ أقام فيهما مُدّةً قصيرةً، والتحق بحوزة مشهد العلميّة. فأقام في مشهد، وقضى معظمَ سنواتِ تحصيلِهِ فيها، وقد التحق بدرس الميرزا مهدي الأصفهانيّ (المتوفّى سنة ١٣٦٥ ق)، فحضر دروسَه الفقهيّةَ ومباحِثَهُ الكلاميّةَ، وتأثّر بأفكاره المحاربة للفلسفة وقَبِلها. وهو اليومَ يدرِّسُ خارج الفقه والتفسير في الصباح، في مدرسة ميرزا جعفر، وله احترامٌ خاصٌّ عند الطلّاب والناس.

- الميرزا حسن علي مروارید: جدُّه لِأُمِّهِ هو المرحوم الشيخ حسن علي الطهرانيّ، الذي يُعَدُّ من علماء مشهد المشهورين في أوائل القرن الرابع عشر الهجريّ. فقد ولد الميرزا حسن علي في عائلةٍ علمائيّةٍ، وقضى كلَّ سنواته العلميّة في مشهد، واستفادَ كثيرًا من درس الميرزا مهدي الأصفهانيّ، وتأثّر بأفكارِهِ الكلاميّةِ والمعرفيّة. وهو الآنَ إمامُ الجماعةِ في مدرسة ميرزا جعفر، ويدرّس فيها بحث الخارج، وللطلّاب علاقة خاصّة به.

أساتذةُ مرحلة السُّطوح

يتصدّى عادةً للتدريس في مرحلة السَّطْح الطلّابُ الفضلاء الشباب الذين لا يزالون يدرسون في مرحلة بحث الخارج. وأقلُّ عددٍ للطلّاب الذين

يلتحقون بحلقة واحدة في مرحلة السّطح: عشرون طالبًا. وقد يصل عددُهم إلى خمسين.

وقد تجدُ بين مدرّسي مرحلة السَّطْح بعضَ علماءِ مشهد القدماء الذين درّسوا بعض الكتب المحدّدة منذُ زمنِ الشباب ولا يزالون إلى الآنَ يدرِّسونها، وهم معروفون بتدريس هذه الكتب. ومن أبرز هؤلاء المدرّسين، نذكر:

- الشيخ كاظم الدامغانيّ: أستاذٌ لمرحلةِ السُّطُوح العالية (**الرسائل** و**المكاسب** و**الكفاية**). وقد قضى سنواتٍ طوالًا في تدريس هذه الكتب في حوزة مشهد العلميّة. مضافًا إلى كونِهِ مشهورًا بالفضل في هذه الحوزة. ومع ذلك، لا يُعَدُّ درسُهُ مَحَلًّا لقبول كلِّ الطلّاب، وليس درسُهُ مكتظًّا بالحضور.

- الشيخ أحمد مدرّس اليزديّ: وهو مدرّس لشرح **اللمعة**، وقد قضى سنواتٍ طوالًا في تدريس شرح **اللمعة**، بحيث بات معروفًا بتدريسها من أربعين سنة. ويشارك في درسه عددٌ كبيرٌ من الطلّاب[١٦].

أساتذةُ مرحلة المقدّمات

لقد أشرنا فيما سَبَقَ إلى أنّ حوزةَ مشهد العلميّة مشهورةٌ منذُ القِدَم بدراسة اللغة. وهي تدرَّس بشكل مفصّل في هذه الحوزة؛ بل تجدُ الطلّابَ الذين يحبّون هذه المادّة، يقصدون حوزة مشهد من بين سائر الحوزات الأخرى لِيَدْرُسوا هذه المادّةَ.

ويُعدُّ اليومَ الشيخُ محمّد تقي أديب النيشابوريّ من أهمِّ مدرّسي اللغة العربيّة وأشهرِهم في حوزة مشهد العلميّة، حتى إنّ شهرةَ هذه

الحوزة باللغة العربيّة في العصر الحالي هي بفضل درسه. وهو من أفضل تلامذة الشيخ عبد الجواد أديب النيشابوريّ، الذي كان أستاذَ لغةٍ مشهورًا في المرحلة السابقة (المتوفّى سنة ١٣٤٤ ق). ويدرّس الشيخ محمّد تقي النيشابوريّ كُتُبَ مرحلة المقدّمات بشكل مفصّل وبطريقة خاصّة، مثل: كتاب **المُطَوَّل** و**المغني** و**الحاشية** و**السيوطي**. ودائمًا يكون درسُهُ مكتظًّا بالطلّاب.

وقد كان درسُـهُ في مدرسة خيراتخان في الطابق السفليّ. وعلى خلاف الشائع في الحوزة كان يأخذ مبلغًا زهيدًا بعنوان حقوق شهريّة. وأمّـا اليومَ، فقد اقترح عليه منذ مـدّة المتصدّون لإدارة حرم الإمام الرضا عليه السلام أن يدرِّسَ باتّجاه مَدْرَس الحرم الذي كان مهجورًا لسنوات؛ فهو الآنَ يدرِّسُ إلى جانب مقبرة الشيخ البهائيّ (الواقعة في الجهة الجنوبيّة من الصحن ـ أي الساحة ـ الجديد). وبدلًا من أن يأخذَ حقوقًا شهريّةً من طلّابه، تصدّت إدارة العتبة الرضويّة لإعطائه حقّ التدريس. وليس له مكانةٌ اجتماعيّةٌ بين الناس، كما ليس له محبوبيّةٌ خاصّةٌ بين الطلّاب على الرَّغم من شُهرَتِه.

الفصل الثاني: طلّابُ حوزة مشهد العلميّة

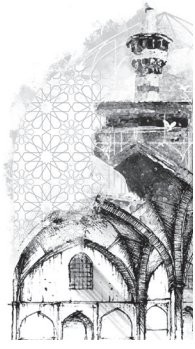

عَدَدُ الطُّلّاب

ثمّةَ مكاتبُ كثيرةٌ ذُكِرَ فيها بشكل منظّم ومستقلٍّ عَدَدُ طلّاب هذه الحوزة مثل: مكتب إدارة الأوقاف، ومكاتب شهريّات المراجع. نعم، بينها اختلافٌ؛ لذلك لا يمكنُنا الوقوفُ على عدد دقيق للطّلاب.

فبناءً على مكتب شهريّة آية الله الميلانيّ، يصلُ عَدَدُ طلّاب حوزة مشهد إلى ١٤٠٤ أشخاص[١٧]، وهم على النحو التالي:

- مدرسة ابدالخان: ٦٢ طالبًا.
- مدرسة باقريّه: ٦٧ طالبًا.
- مدرسة بالاسر: ٦٠ طالبًا.
- مدرسة پريزاد: ٣٣ طالبًا.
- مدرسة جعفريّه: ٧ طلّاب.
- مدرسة حج حسن: ٦٥ طالبًا.
- مدرسة خيراتخان: ١٦٤ طالبًا.

- مدرسة دو درب: ١١٨ طالبًا.
- مدرسة سليمانخان: ٤١ طالبًا.
- مدرسة عباسقليخان: ١٥٩ طالبًا.
- مدرسة ميرزا جعفر: ١٩٥ طالبًا.
- مدرسة نوّاب: ١٥٦ طالبًا.
- باغ رضوان: ١٢٨ طالبًا.
- من خارج المدارس: ١٥١ طالبًا.

أمّا بناءً على مكتب الأوقـاف، فيصلُ عددُ الطلّاب إلى ١٤٠١، مَعَ اختلافٍ يسيرٍ في بعض طلّاب المدارس. كما أنّ المكاتبَ الخاصّةَ بكلِّ مدرسةٍ تذكُرُ عَدَدَ طلّاب هذه المدرسة ـ على الشرح الذي تقدّم في قسم «سكن الطّلاب» ـ. وفي كثيرٍ من الموارد لا تتطابقُ تلك الإحصائيّات مع الإحصائيّات التي ذكرناها.

ويبدو أنّ سببَ هذا الاختلافِ هو اختلافُ تاريخ الإحصاءات؛ إذ كثيرًا ما يترك الطالبُ المدرسةَ بسبب السفر أو الزواج، لكنّه بسبب عدم وجود تشكيلاتٍ منظّمة، يبقى اسمُه محفوظًا في مكتب المدرسة أو في المكاتب الأخرى المعنيّة بذلك. أو مثلًا قد يدخل الطّالب إلى سكن الطلّاب في مدرسة محدّدة ويبدأ بالدّراسة، وَمَـعَ ذلك لا يكون اسمُه مسجّلًا في مكتب المدرسة أو في مكاتب الشهريّات العامّة أو في مكتب الأوقاف.

الوضعُ الاجتماعيُّ للطّلاب

أكثرُ طلّابِ حوزة مشهد العلميّة هم من قرى خراسان ومناطقها الصغيرة. وأمّا الطلّابُ الساكنون في مدينة مشهد أو في المدن البعيدة، فعددُهُم في هذه الحوزة قليلٌ. وليس في المقام بين أيدينا إحصاءٌ كاملٌ ومطابق للواقع مئة بالمئة. ولكن من خلال الرجوع إلى إحصاءات طلّاب مدارس مشهد الموجودة في إدارة أوقاف هذا البلد، نحصل على النتيجة التالية ـ التي هي قريبة من الواقع ـ:

- سبعون بالمئة من الطلّاب هم من مدن خراسان وقُراها القريبة والبعيدة.
- سبعة عشر بالمئة من مدن وقرى مازندران.
- سبعة بالمئة من مدينة مشهد.
- ستّة بالمئة من سائر مدن وقرى إيران.

ولا يَجِدُ الطلّابُ ضرورةً للالتحاق بحوزة مشهد العلميّة بسبب بُعد طريق مشهد عن أغلب نقاط البلاد، وعدم اشتمال مشهد على مركزيّة جغرافيّة مناسبة مثل مدينة قمّ. وبسبب وجودِ حوزةٍ علميّةٍ كبيرةٍ ومُهِمَّةٍ في مركز إيران مثل حوزة قم العلميّة، صار الطلّاب يهاجرون من مختلف المناطق، ويرجّحون الإقامة فيها.

ولعلّ أهمَّ سببٍ في عدم ذهاب الطلّاب إلى حوزة مشهد العلميّة هو أنّ نفس طلاب مشهد لم يجتمعوا في هذه الحوزة؛ بل مع وجود حوزة علميّة في بلادهم، تراهم يهاجرون إلى حوزة قمّ أو النجف. ولعلّهم يفعلون ذلك لاعتقادهم أنّ الذهاب إلى حوزة بعيدة يُمكِّنُهم من الدّراسة

بشكلٍ دقيقٍ بعيدًا عن المشاكل الأسريّة والابتلاءات المادّيّة. ولذلك، تجدُ أنّ عَدَدَ الطلّاب المشهديّين في حوزة قمّ والنجف أكثرُ بكثيرٍ من عَدَدِهِمْ في حوزة مشهد.

وأمّا فيما يرتبطُ بالطبقة الاجتماعيّة لطلّاب الحوزة العلميّة في مشهد، فيمكنُنا أن نحدُس أنّ أكثر الطلّاب هم من طبقات اجتماعيّة متدنّية، ويندُرُ أن تَجِدَ من بينهم من هو قادمٌ من عائلةٍ مرفّهة. وقلّما تَجِدُ طُلّابًا ينحدرون من عائلاتٍ علمائيّةٍ يريدون أن يتابعوا مسيرَ آبائهم العلماء.

سَكَنُ الطُلّاب

تقدّمتِ الإشارةُ في الفصول السابقة إلى أنّ مدارسَ الحوزةِ العلميّة في مشهد كسائر مدارس الحوزات العلميّة الشيعيّة، تأسّست بشكل أوّليٍّ لِسَكَنِ الطلّاب. فهي ليست مدارسَ بالمعنى الحاليِّ والمعاصِرِ للمدارس فقط، بل هي أيضًا سَكَنٌ للطلاب.

وأكثرُ الطُلّاب الذين يسكنون في هذه المدارس هم الطلّاب العُزّاب الذين يأتون من قـرىً ومُـدُنٍ أخـرى لأجل طلب العلم. وأمّـا الطلّابُ المتزوّجون أو الطلّابُ الذين يسكنون في مدينة مشهد، فبالطبع لديهم منزلٌ مستقلٌّ خـارجَ الحوزةِ، ولا يحتاجون إلى السَّكَنِ في حُجُرات المدرسة. وعلى هذا الأسـاس، عَلَّقَتْ أغلبُ المدارس في مشهد جوازَ السَّكَنِ في حُجْرَةِ المدرسة على شرطٍ؛ أن ينامَ الطالبُ ليلًا في المدرسة، بل إنّ بعضَ المدارس جعلت هذا الشرطَ في أصل صياغة الوقف.

نعم، قد يحتاجُ الطلّابُ المتزوّجون أو الذين يسكنون مشهد إلى الاستفادةِ من حُجُراتِ المدرسة لأجل المطالعة والمباحثة والدراسة؛ لذا، قد يُجاز لهم أن يتردّدوا نهارًا على إحدى حُجُرَاتِ هذه المدرسة. ولكن بشكلٍ عامٍّ لا تُعطى حُجْرَةٌ مُسْتَقِلَّةٌ لطالبٍ لا يَبيتُ في المدرسة.

ولمّا كان عَدَدُ الطلّاب في حوزة مشهد العلميّة أكثرَ من عدد حُجُراتِ المدرسة، كانت تُوضَعُ كُلُّ حُجْرَةٍ في تصرّف طالِبَين، بحيثُ يكونُ غالبًا أحدُهُما ممّن يبيتُ في المدرسة والآخرُ من الذين يتردّدون إلى المدرسة نهارًا فقط. ومع ذلك، فإنّ عدد الحُجُرَاتِ التي تشتمل على أكثرَ من طالبَين، أو يكون الطالبان ممّن يبيتون في الحوزة، ليس بقليلٍ.

ولا يحتاجُ السَّكَنُ في هذه المدارس إلى ترتيباتٍ خاصّةٍ، بل يكفي أن يُوَافِقَ متولّي المدرسة. وموافقته: إمّا من خلال التردُّدِ الدَّائِمِ إلى المدرسة والاشتغال بالدرس والمباحثة فيها أو في المَدْرَس، وإمّا من خلال تعريفٍ له وتوصيةٍ خاصّةٍ به. وثمّة طريقةٌ أخرى يعتمدُها بعضُ الطلّاب، وهي: أن يتردّدَ الطالبُ الذي لا يسكُنُ في المدرسة كثيرًا إلى حُجْرَةِ أحدِ الطلّاب، بعد أخذ موافقته، وبعد أن يَخْرُجَ هذا الطالبُ الساكن في تلك الحجرة من المدرسة، أو ينتقلَ إلى حُجْرَةٍ أخرى، يصبحُ مكانُهُ خالِيًا؛ فَيُمْكِنُ التقدّم بطلبٍ إلى المتولّي للموافقة على السَّكَن في هذه الحُجْرَة. وغالبًا ما يوافقُ المتولّي.

وضعُ البناءِ في مدارس الحوزة العلميّة في مشهد

بُنِيَتْ مدارسُ مشهد بطريقةٍ واحدةٍ تقريبًا، وليس بينها اختلافٌ مُهِمٌّ من حيثُ خريطةُ البناءِ. فَكُلُّ مدرسة هي عبارةٌ عن: ساحة (أو صحن) واسعة

نسبيًّا، ومحاطَةٌ من الجهاتِ الأربعِ بحُجُراتٍ متشابهةٍ وعلى نَسَقٍ واحدٍ، أو عبارة عن: ساحة وفي الطابق الثاني حُجُرَاتٌ متشابِهَةٌ، وأمامَ كُلِّ حُجْرَةٍ إيوانٌ مستقلٌّ على شكل حدوة. وغالبًا ما يكونُ المَمَرُّ إلى الحُجُراتِ الواقعةِ في الطابق الثاني من الخلف. وليس في أغلب المدارس طريقٌ بين الإيوانات.

نعم، مدرستا دو درب وميرزا جعفر مختلفتان في بعضِ الخصوصيّات عن سائر المدارس، لكنْ بشكلٍ عامٍّ، شكلُهُما كشكلِ سائر المدارس، وَلِكُلِّ مدرسةٍ غرفةٌ كبيرةٌ لتُعقَدَ فيها الدروس الحوزويّة، تسمّى باسم المَدْرَس. وفي بعض المدارس، يكونُ المَدْرَسُ مَسْجِدًا أيضًا؛ أي: هو في أصل الوقف موقوفٌ لِيَكُونَ مَسْجِدًا؛ ولكنّ بعضَ المدارس ـ مثل مدرسة ميرزا جعفر ـ ينفصلُ فيها المَدْرَس عن المدرسة.

وفي الآوِنَـةِ الأخيرةِ، تأسّستْ مدرستان جديدتان في حوزة مشهد العلميّة بحيث تختلفان باللحاظ البنائيّ عن سائر المدارس. وسوف نشيرُ إلى وضعِهِما البنائيّ عندما نتحدَّثُ عنهما[١].

والوضعُ الصحّيّ لمدارس مشهد غَيْرُ جَيِّدٍ إلّا هاتين المدرستَين؛ فأغلبُ حُجُرَاتِ الطابق الأوّل ذاتُ رطوبةٍ، وكلُّ الغُرَفِ فاقدةٌ للإضاءة الكافية.

(١) إحدى هاتين المدرستين هي: مدرسة آية الله الميلانيّ التي أُشير إليها تحت عنوان «المؤسسات التابعة للحوزة»، والمدرسة الأخرى هي: مدرسة جعفريّه التي سيردُ ذكرُها عند تعداد المدارس.
(وللأسف، لم يرد الحديث عن مدرسة آية الله الميلانيّ ضمن هذا العنوان المذكور).

أسماءُ مدارس مشهد وخصوصيّاتُها

تشتملُ حوزةُ مشهد العلميّة على أربعَ عَشْرَةَ مدرسةً، وهي على الشكل التالي:

١- مدرسة دو درب[١٨]

تقعُ هذه المدرسةُ في الجهة الغربيّة للسوق الكبير «بازار زنجير». وتُعَدُّ من أقدم مدارس مشهد، وقد بناها أحدُ أمراء حكومة شاهرخ گوركانى في سنة ٨٤٣. وقد ذُكِرَ اسمُهُ فوقَ بابِ المدرسة حيثُ كُتِبَ: «باهتمام الأمير الأعظم غياث الدين يوسف خواجة بهادر دامت معدلته تقبَّلَ اللّهُ منه...». وكُتِبَ اسمُه أيضًا على القبّة الواقعة في الجهة الجنوبيّة للمدرسة على الشكل التالي: «الأميرُ الأعظمُ الأعدلُ الأقدمُ افتخارُ الأمراءِ والكُبَراءِ في العرب والعجم اعتضادُ الملوك والسلاطين واقتدارُ الخواقين، السابقُ في مضمار التفاخر والتبادر غياثُ الدِّين والدنيا الأمير يوسف خواجة بهادر...».

ولهذه المدرسة ساحةٌ مربّعةُ الشكل، مشتملةٌ على أربعة إيوانات من الجهات الأربع، ولها قُبّتان في الزاوية الغربيّة والجنوبيّة. وقبر مؤسِّس هذه المدرسة تحت قُبّة الزاوية الجنوبيّة، وثمّة كتابةٌ على أطرافها. وقد وقعت أحجارَ قُبّة الزاوية الغربيّة، وتحتها قبرٌ لا يُعلمُ لمن هو.

وتتميّزُ هذه المدرسةُ بأحجارٍ مميَّزةٍ وخطوطٍ ورسوماتٍ جَيِّدَةٍ. وهي مؤلّفةٌ من طابقين. وإيواناتُها متّصلةٌ بعضها ببعض.

ويتولّى هذه المدرسةَ في العصر الراهن الشيخ الميرزا أحمد الكفائيّ، الذي هو من العلماء المعروفين في مشهد. وقد اختارَ أحدَ الطلّاب ـ وهو الشيخ محمّد حسن الكاهانيّ ـ للتصدّي لهذه المدرسة.

ويصلُ عددُ طلّابها إلى ما يقارب ١٢٠ طالبًا. ومدخولُها السنويّ يقارب ٦٠٠٠٠ ريال، وهو يعادلُ ما يُعطى من حقوقٍ للخادم، مضافًا إلى تكاليف المدرسة الضروريّة.

وهذه المدرسةُ مُلْحَقَةٌ بإدارة الأوقاف. وليس لدينا معلوماتٌ عن موقوفاتها وكيفيّة مصارفها.

٢- مدرسة پريزاد[١٩]

هي مدرسةٌ صغيرةٌ، تَقَعُ في الجهة الشرقيّة للسوق الكبير مقابلَ مدرسة دو درب. وهي تاريخيًّا أقدمُ مدارس مشهد الموجودة. باني هذه المدرسة وواقفُها هي السيّدة پريزاد خانم نديمه، وهي إحدى جواري گوهرشاد وزوجة شاهرخ گوركانى ـ باني المسجد المعروف بـ گوهرشاد ـ.

وقد بُنِيَتْ هذه المدرسةُ سنة ٨٢١ ق؛ أي: في السَّنَةِ نفسِها التي بُنِيَ فيها مسجدُ گوهرشاد. وفي زمن الشاه سليمان الصفويّ سنة ١٠٩١ ق، تمّ تعميرُ قندهار من قبل نجفقليخان بيكلر بيكي، غيرَ أنّ البناءَ الأصليَّ لهذه المدرسةِ قديمٌ وقد تهدّم في السنوات الأخيرة. ولذلك بدأت إدارة الأوقاف بإعادة إعماره، ولا يزالون مشغولين بإعادة الإعمار منذ فترة ولمّا يجهز بعد للسكن.

وليس لدينا اطّلاعٌ على موقوفات هذه المدرسة. وبعد أن تتمّ إعادة الإعمار، سوف تُحَدِّدُ إدارةُ الأوقاف المتولّي وعددَ الطلّاب والموظّفين.

٣- مدرسة بالاسر[٢٠]

تقعُ هذه المدرسةُ في الجهة الشرقيّة للسوق الكبير خَلْفَ حَرَم الإمام الرضا عليه السلام بالقرب من مدرسة پريزاد. ولها ساحةٌ صغيرةٌ. وهي مؤلَّفة من طبقتين. تشتملُ على حُجُرَاتٍ صغيرةٍ موزّعة على الجهات الأربع، ولها إيوانان: أحدُهُما إلى الجهة الجنوبيّة، والآخرُ إلى الجهة الشرقيّة (متّصل ببناء الحَرَمِ المطهَّر). ولأنّها متّصلةٌ بحرم الإمام الرضا عليه السلام، لم يُبنَ فيها بيتٌ للخلاء.

وقد عمّرها وزيرُ خراسان وهرات الميرزا محمّد سنة ١٠٩١ ق. أمّا الباني الأساسُ لها فليس لدينا معلوماتٌ عنه، ولا عن تاريخ البناء الأوّل. لكن يُظَنُّ أنّها بُنِيَتْ بالتزامُن مَعَ مدرسة پريزاد ومدرسة دو درب في زمن حكومة شاهرخ أو شخص آخر من أولاد الشاه گوركانى. ويرى السائح الإنجليزيّ فريزر أنّ الباني هو أحدُ أولاد ملوك أزبك الذي هو من أحفاد تيمور[١]. ولعلّ الكتابات التي كانت في ذلك الزمن تدلُّ على هذا المعنى.

وقد تولّتْ هذه المدرسةَ إحدى العوائلِ العلمائيّةِ في مشهد التي وَرِثَتْ هذه المدرسةَ في أوائل القرن الثالث عشر الهجريّ، ويتولّاها الآن أحدُ أفراد هذه العائلة، وهو من علماء مشهد المحترمين، اسمُهُ السيّد علي علم الهدى.

ويوجد ستّة محالّ تجاريّة موقوفةٌ لهذه المدرسة تَقَعُ بالقُرْبِ منها، وتُصرَفُ عائداتُها في التكاليف الضروريّة للمدرسة؛ من قبيل: تكاليف الكهرباء والماء والإصلاحات وحقوق المتولّي والخادم وحقّ مراقبة

(١) **مطلع الشمس**، ج ٢، ص ٢٨.

الأوقـاف. ويصلُ عدَدُ الطلّاب الساكنين فيها إلى ٦٠ طالبًا. وصُرّح في ضمن الوقف أنّه يشترط في الطلّاب الذين يريدون أن يسكُنوا في هذا المكان الشريف، أن لا يكونوا من قندهار أو قوشان أو نيشابور أو تبريز أو شاسمند أو قفقاز أو بغداد أو الهند أو البحرين.

٤- مدرسة نوّاب

هذه المدرسةُ تُسمّى بمدرسة صالحيّه تبعًا لاسم بانيها. وهي من أفضل مدارس الحوزة العلميّة في مشهد من حيث البناءُ والعمرانُ، وتَقَعُ في الجهة الشماليّة لشارع نادري (أعلى الشارع). ساحتُها على شكلٍ مستطيلٍ واسعٍ، وبناؤها على طرز بناء الإيوانات. وهذا البناءُ مؤلّفٌ من طابقين مشتمِلَين على حُجُراتٍ مستقلّةٍ من الجهات الأربع، لكلٍّ منها إيوان (وهو عبارة عن غرفة بشكل حدوة). وفي الوسط، يوجد من الجهة الشماليّة والجنوبيّة إيوانان كبيران مرتفعان. ويَقَعُ المَدْرَس ـ الذي هو بحسب الظاهر مسجد ـ في الإيـوان الشماليّ، ويقعُ بابُ الدخول إلى هذه المدرسة في الإيوان الجنوبيّ.

وقد بُنِيَتْ هذه المدرسة في زمن الشاه سليمان الصفويّ سنة ١٠٨٦ق، وبانيها هو أحدُ السادة العلماء الأشراف في ذلك الزمن، اسمُهُ الميرزا أبو صالح نقيب الرضويّ. وقد كُتِبَ على أعلى باب المدرسة اسمُ الواقف، حيث ورد فيها: «... من مال خالص نوّاب مستطاب عمدة السادات النجباء الكرام و... النقباء العظام صدر الإسلام والمسلمين ميرزا صالح النقيب الرضويّ...». وقد وجد في الكتابة الأخرى الموجودة أيضًا على أعلى باب هذه المدرسة: «المدافع عن العزّ والشرف الميرزا أبو صالح المبجّل والمجلّل بالكرامة والعلم والفضل والصفح...».

وقد وُضِعتْ هذه المدرسةُ قبل سنة ١٣٢٠ ش. تحتَ تصرُّفِ وزارة الثقافة والأوقاف، وقد نُقِلَتْ فَتْرَةً من الزَّمَنِ إلى مكان ثانويّة المعقول والمنقول. وبعد أحداث شهر شهريور سنة ١٣٢٠ ش. وإعادة تنظيم حوزة مشهد العلميّة، عادت هذه المدرسةُ تحت تصرّف الحوزة، وأُحدِثَتْ فيها إصلاحاتٌ من قِبَل متولّيها الأسبق المرحوم الميرزا علي أكبر النوقانيّ. وتمَّتِ العِنَايَةُ بمكتبتها، وصارت المدرسة كما هي عليه الآنَ.

ويتولّاها الآن فعليًّا الميرزا أحمدُ الكفائيُّ، وهو المنصوب من قبل مرجع التقليد في ذلك الوقت، والمؤيّد من وزارة الثقافة والأوقاف. وقد قَبِلَ توليتَه مسؤولُ الحكومة أيضًا. أمّا موظّفو هذه المدرسة، فهم: الشيخ علي مُبين، وهو المتصدّي وأمين المكتبة، وعلي أكبر يگانه، ومحمّد صادق سيدي، خدّام هذه المدرسة. وهؤلاء الموظّفون الثلاثة قد تَمَّ اختيارُهم من قبَل متولّي هذه المدرسة.

وثيقةُ الوقف الأساسيّةُ لهذه المدرسة غيرُ موجودة، لكن يوجد في داخل هذه المدرسة في الإيوان الشماليّ لوحٌ حجريٌّ كبيرٌ محفورٌ عليه بعضُ ما يرتبط بالوقف بشكل مختَصَرٍ. وتحتلُّ هذه المدرسةُ المرتبةَ الأولـى بين مـدارس حوزة مشهد العلميّة بلحاظ امتلاك الموقوفات. وموقوفاتها هي أملاك زراعيّة. وفي الحال الحاضر قد تَلِفَ كثيرٌ منها ولم يبقَ لها إلّا اثنا عشر دُكّانًا متّصلًا بالمدرسة، وبعضُ الأسهم من عشرة مزارع من مزارع خراسان المعروفة. وتُصرَفُ عائداتُ هذا الوقفِ في شهريّة الطلّاب الساكنين في المدرسة، وفي حقوق المتولّي والموظّفين، وفي تكاليف الصيانة الضروريّة، وسائر تكاليف المدرسة الضروريّة، التي تصلُ في السنة إلى حدود ٦٠٠٠٠٠ ريال. ويصلُ عددُ الطلّاب فعلًا إلى

١٦٠ طالبًا، شهريّةُ كلٍّ منهم تصلُ إلى ٤٠٠ ريال، حيثُ يحصلون عليها من أموال الوقف العائدة للمدرسة.

وتُعَدُّ هذه المدرسةُ منذ زمنٍ قديمٍ مركزًا لاجتماع الطلّاب، وقد تشكّلت فيها حلقاتُ درس معروفة ومشهورة؛ مثل: حلقة درس اللغة للأديب النيشابوريّ (المتوفّى سنة ١٣٤٤ ق)، وحلقة درس السطوح العالية للشيخ هاشم القزوينيّ (المتوفّى سنة ١٣٣٩ ش/١٣٨١ ق). أمّا الآنَ فَلَمْ تَعُدْ مركزًا للاجتماع ومَحَلًّا للدروس الكبيرة.

وثمّة شروطٌ وضعها المتولّي لدخول الطالب إلى هذه المدرسة والسكن فيها، منها: أن يكون عَزَبًا، وألّا يكونَ من أهل مشهد، وأن ينجَحَ في الامتحان الداخليّ، وألّا تكونَ لديه مهنةٌ أخرى غيرُ طَلَبِ العلم.

٥- مدرسةُ بهزاديّه المعروفة باسم مدرسة حاج حسن[٢١]

تقعُ هذه المدرسةُ إلى الجهة الشماليّة من أعلى الشارع بالقرب من مدرسة نوّاب. ولها ساحةٌ صغيرةٌ مستطيلةٌ، وهي مؤلّفةٌ من طبقتين، أكثرُ حُجُرَاتِ الطبقة الأولى لها إيوانٌ على شكل حدوة، ولكنّ حُجُرَاتِ الطابقِ الثاني ليس لها إيوان. ويَصِلُ عَدَدُ حُجُرَاتِ هذه المدرسةِ إلى ٢٥ حُجْرَةً، وتشتملُ على ٧٠ طالبًا.

وأمّا باني هذه المدرسةِ فهو المَلِكُ بهزاد، ويُحتَمَلُ أنّه من طبقة الأمراء والأشراف، وأنّه كان يعيشُ في زمن الشاه الصفويّ، ولكنّنا نجهلُ سنةَ البناء ووجهَ تَسمِيَتِها بمدرسة حاج حسن. نعم، ثمّة كتابةٌ في هذه المدرسة ورد فيها: «... من عين مال زبدة أهل السَّدَاد والرَّشَاد ملك بهزاد، وبسعي التقيّ حاجي الحرمين الشريفين حاجي نظر...».

وأمّا الموقوفاتُ الموجودةُ في هذه المدرسةِ فهي: نُزُلٌ للسفر موجودٌ في السوق، وأربعةُ دكاكين متّصلةٌ بالمدرسة، وثمانيةُ دكاكين إلى جنب النُزُل. وأمّا الأمورُ والأموالُ العائدة من هذه الأوقاف فتُصرَفُ في شهريّة الطلّاب الساكنين في هذه المدرسة، وفي حقّ مراقبة الأوقـاف، وفي حقوق المتولّي، وتكاليف المياه والكهرباء. ويصلُ مجموعُ هذه التكاليف إلى ٧١٤٠ ريالًا. وُيعطى لكلّ طالبٍ من طلّاب هذه المدرسة خمسون ريالًا شهريًّا.

وقد تولّى هذه المدرسةَ الميرزا أحمدُ الكفائيُّ من قِبَل الأوقاف. وجعل الشيخَ محمّد رضا ميزبان ـ الذي هو أحدُ طلّاب هذه المدرسة ـ متصدّيًا وأمينًا على المكتبة، والشيخ محمّد علي الكماليّ خادمًا ومسؤولًا عن الغرف. وثمّة امتحانٌ صغيرٌ للطلّاب الذين يريدون الالتحاق بهذه المدرسة، وهو الشرط الوحيد لالتحاقهم بها. ولا تُعقَدُ حلقاتٌ للدرس في هذه المدرسة.

٦- مدرسة باقريّه/مدرسة المُلّا محمّد باقر[٢٢]

تُعَدُّ هذه المدرسةُ من المدارس المعروفة والمشهورة والمسكونة في مدينة مشهد، وتقعُ في الجهة الشماليّة من أعلى الشارع المحاذي لمدرسة نـوّاب ومدرسة حـاج حسن. وُتعدُّ ساحتُها أصغرَ من ساحة هاتين المدرستين.

وقد تمّ بناؤها في سنة ١٠٨٣ ق. في زمن الشاه سليمان الصفويّ. وقد كان للمرحوم المحقّق محمد باقر السبزواريّ (المتوفّى سنة ١٠٩٠

ق) دورٌ مهمٌّ في تأسيس هذه المدرسة، ولعلّه لذلك سُمّيت بِباقريّه، حيث اشتُقَّت من اسم هذا المحقِّق.

وثمّةَ كِتَابَةٌ بخطٍّ جميلٍ موجودةٌ في أعلى هذه المدرسة محفورةٌ على حَجَرٍ وتشتملُ على العبارة التالية: «... بتجويز عاليحضرت أكمل الفضلاء والحكماء مجتهد الزمان مولانا محمّد باقر الخراسانيّ من مال الحضرة الفاضل الباذل ذي الحسب الرفيع مولانا محمّد سميع...». ويستفادُ من هذه العبارة أنّ بَانِيَ هذه المدرسة هو المُلّا محمّد سميع، حيثُ بناها بتجويزٍ من المحقِّق السبزواريّ. لكنْ بناءً على نقل الفاضل البسطاميّ[١] في كتاب **فردوس التواريخ**، فإنّ هذه المدرسةَ قد بُنِيَتْ قبل ذلك الزمان. وقد كان للمحقّق السبزواريّ سنة ١٠٨٣ ق. الدورُ الأساسُ في إعادة الإعمار. وهذا ما يُستفادُ أيضًا من قول محمّد حسن خان صنيع الدولة في كتابه **مطلع الشمس**[٢].

وإلى الفترة السابقة، كان تولّي هذه المدرسة بِيَدِ أولاد المحقّق السبزواريّ الساكنين في أصفهان. وكان المعيَّن من قِبَلهم يُدِيرُ هذه المدرسةَ في مشهد. وفي تلك الأثناء، كانت هذه المدرسة، من الجهة العمرانيّة والبنائيّة من أفضل مدارس حوزة مشهد العلميّة. وفي الآونة الأخيرة، وَضَعَتْ إدارةُ الأوقافِ يدَها على هذه المدرسة، وهي الآن تقومُ

(١) يهتمّ هذا الكتاب ببيان بعض التواريخ والموضوعات المرتبطة بمدينة مشهد المقدّسة. وقد ألّفه صاحبه سنة ١٣١٠ ق. ونسخته الخطّيّة غير مرقّمة الصفحات. وأمّا ما ذكرناه في النّصّ فقد ورد في شرح حال المُلّا محمّد باقر السبزواريّ في وسط الكتاب.

(٢) ج ٢، ص ٣٩٠.

بعمليّة إعادة إعمارٍ أساسيّة. وإلى الآنَ ليست هذه المدرسةُ قابلةً للسَّكَنِ، وما زالتْ تَخْضَعُ للإعمار.

ويَصِلُ دخلُ هذه المدرسة إلى ما يقارب ٦٢٠٠٠٠ ريال. وليس لدينا معلوماتٌ دقيقةٌ عن الموقوفات التابعة لهذه المدرسة. وحسبما يقول السائح الإنجليزيّ فريزر الذي أتى إلى مشهد في حدود سنة ١٢٤٠ ق: إنّ موقوفاتِ هذه المدرسةِ كانت عبارةً عن قليلٍ من الدكاكين ونُزُلٍ للقوافل[١]. غير أنّه يستفادُ من كتابة الفاضل البسطاميّ[٢] أنّ موقوفاتِ هذه المدرسةِ الأصليّةَ كانتْ أكثرَ من هذا المقدار.

وإلى الفترة التي تسبق شروعَ إدارةِ الأوقافِ في إعادة تعمير هذه المدرسة، وصل عددُ الطلّاب إلى ما يقرب من ٦٠ طالبًا، لكنَّ أَغْلَبَ حُجُرَاتِها في الوقت الراهن خالية. وبعد انتهاء إعادة إعمارها، سوف يعيّن عددُ الطلّاب والموظّفين، والموازنةُ الشهريّة للطلّاب، وشروطُ الانتساب.

٧- مدرسة ميرزا جعفر[٢٣]

تقعُ هذه المدرسةُ في الجهة الشماليّة من الصحن القديم بالقرب من الزاوية الشماليّة الشرقيّة.

ولها ساحةٌ واسِعةٌ مربّعةٌ وبناءٌ عالٍ جميلٌ. وتُعَدُّ من مدارس مشهد الأولى من حيث العمرانُ والكتابةُ وسَعَةُ المكان. وقد بُنِيَ في باحتها طابقان مرتفعان يشتملان على ٨٥ حُجْرَةً. وإلى جنب كلّ حُجْرَتَيْنِ من

(١) **مطلع الشمس**، ج ٢، ص ٢٥.
(٢) في ذيل حال الملّا محمّد باقر السبزواريّ.

الطابق الأول سُلَّمٌ يُعدُّ مَعْبَرًا إلى الطبقة العُليا. ويقع المسجدُ والمَدْرَسُ إلى جانب طَرَفَي دهليز الورود إلى المدرسة ذي ثمانية الأضلاع. ويوجدُ مَدْرَسٌ آخرُ في الطبقة العليا.

ومؤسّسُ هذه المدرسة وبانيها هو أحدُ تجّارُ مدينة مشهد وأشرافها. وكأنّه سَكَنَ مُدَّةً في الهند، ثُمّ عاد بعدها إلى مشهد، وصرف جُزْءًا ممّا حصّله من هذا السفر في بناء هذه المدرسة العظيمة. وقد بُنيت هذه المدرسة سنة ١٠٥٩ ق، لكنّ وثائقَ الوقف كُتِبَتْ في سنواتٍ مختلفة، إحدى هذه الوثائق تحمل تاريخ سنة ١٠٥٧ ق، وهي التي أمضاها جمعٌ غفير من العلماء والمشهورين في ذلك الزمان، وسجّلوا الوقف باسم أحد الأشخاص. وكانت هذه الرسالة بيد أحد أولاد الواقف، واسمُهُ محمّد علي سروقدي خادمباشي.

وقد عُمِّرَتْ هذه المدرسة سنة ١٢٨٥ ق بمساعدة محمّد ناصر خان ظهير الدولة ووالي خراسان. ثُمّ وُقفت مساحةٌ من مزرعة سيس آباد ـ هي ثلاثة دانگ[١] ـ لهذه المدرسة. وأمّا موقوفات المدرسة الأخرى فهي الآن: تسعةُ دكاكين واقعةٌ في المستديرة الشماليّة، ومحلّان إلى جوار هذه المدرسة. لكنْ تشير وثيقةُ الوقف إلى أنّ المدرسة مشتملةٌ على موقوفاتٍ كثيرةٍ من الأملاك الزراعيّة التي لا أَثَرَ لها الآن.

ومتولّي هذه المدرسة هو أحدُ أولاد الواقف واسمه ميرزا محمّد باقر سروقدي (أولاد الواقف هم من عائله كبيرة ومعروفون باسم سروقدي).

---

(١) دانگ: هو قسم من الشيء أو سدسه. وهو مصطلح يُستخدم في العقارات، كما يُستخدم في بعض المناطق العربيّة مصطلح «٢٤ سهمًا». (المترجم)

وتقع مزرعةُ سيس آباد تحت تصرُّفه، وتحت رقابة الميرزا أحمد الكفائيّ. وقد نصّت وثيقةُ الوقف على أنّ ولاية هذه المدرسة بيد أكبرِ هؤلاء الأولاد وأفهمِهم. واليوم بعض أولاد الواقف هم المتولّون الواقعيّون اعتمادًا على القيد الثاني.

وموظّفو المدرسة الذين عيّنهم المتولّي، هم: السيّد علي افتخاري، وهو المتصدّي، الشيخ علي الفلسفيّ؛ أمين المكتبة، وشير محمّد وحسين، وهما الخادمان والمسؤولان عن السكن في هذه المدرسة.

وكـلّ مداخيل هـذه المدرسة تُـصـرَفُ في حـقّ التولية وحقوق الموظّفين والتكاليف الضروريّة للمدرسة (فلا يبقى منها شيءٌ للطلّاب)، والإصلاحات الأساسيّة لهذه المدرسة ـ وهي أمورٌ ضروريّةٌ جدًّا ـ، كما هو الأمرُ في أكثرِ مدارس مشهد.

ويقيمُ الجماعةَ في مسجد هذه المدرسة الميرزا محمّد علي مروارید الذي هو من أحد علماء مشهد المحترمين. ويُعقَدُ في هذا المسجد ظهرًا ومساءً أحدُ أهمّ التجمّعات الدينيّة في مشهد. كما يُعقَدُ في هذه الحوزة عددٌ من الدروس المشهورة والمعتبرة، منها: درس خارج الفقه ودرس المعارف للميرزا جواد آقا الطهرانيّ، وهو أحدُ الأساتذةِ المعروفين في حوزة مشهد العلميّة.

ويسكن في هذه المدرسة ما يقرب من ٢٥٠ طالبًا، ويُعطى لكلٍّ منهم ٥٠ ريالًا شهريًّا من موقوفات ظهير الدولة. والشَّرْطُ الوحيدُ للدخول إلى هذه المدرسة هو إجازةُ المتولّي.

٨- مدرسة خيراتخان[٢٤]

تقعُ هذه المدرسةُ في الجهة الشماليّة السفلى من الشارع.

وتُعدُّ من أكبر مدارس مشهد وأكثرها طلّابًا. ولها ساحةٌ مستطيلةٌ. وهي مؤلّفةٌ من طابقين على طرز بناء مدرسة ميرزا جعفر. ولها إيوانان مرتفعان في الجهة الشماليّة والجنوبيّة، وفي الإيوان الشماليّ مسجدٌ، وفي الإيوان الجنوبيّ بابٌ للدخول إلى هذه المدرسة.

ويُستفادُ من الكتابة الموجودة في هذه المدرسة أنّ الذي بناها هو خيراتخان، وهو أحدُ الأمراء في زمن الشاه عبّاس الصفويّ الثاني، وقد تُوُفِّيَ أثناءَ بنائِها.

وقد تمّ بناؤها سنة ١٠٥٧ ق. ويوجد كتابةٌ في هذه المدرسة مكتوبٌ عليها اسمُ مؤسِّسها، وهي على الشكل التالي: «... وقد وُفّق لبنائها في حال حياته وبعد وفاته المرحوم المغفور خيراتخان...». ويظهر من هذه الجملة أنّ بناءَ هذه المدرسةِ قد تمّ بعد وفاة الباني على طبق وصيّته من ماله.

وليس لدينا اطّلاعٌ على الموقوفات الواقعيّة لهذه المدرسة، لكنّ موقوفاتِها الفعليّةَ هي: ١٦ دكّانًا متّصلًا بالمدرسة، تُصْرَفُ عوائدُها على شهريّة الطلّاب، وحقّ التولية، وحقّ الرقابة، والتكاليف الضروريّة، وحقوق الخادم. ويصلُ مبلغ هذه التكاليف شهريًّا إلى ٩١٥٠ ريالًا.

ويتولّى هذه المدرسة من جهة إدارة الأوقاف الميرزا أحمدُ الكفائيُّ. والموظَّفون هم: الشيخ علي أكبر الدربنديّ، وهو المتصدّي وأمين المكتبة، والكربلائيّ محمّد، وهو الخادم، والمسؤول عن السكن.

ويسكُنُ الآن في هذه المدرسة ١٥٠ طالبًا: ٩٠ منهم شهريّتُهُم ٦٠ ريـالًا. وشرط السَّكَن الوحيد في هذه المدرسة هو إجـازةُ المتولّي أو المتصدّي. وليس فيها امتحانٌ للدخول.

وإلى الفترة السابقة كانت تُعْقَدُ في هذه المدرسة أهمُّ دروس اللغة في مشهد التي يدرسها الشيخ محمّد تقي أديب النيشابوريّ، الذي يسكُنُ في النهار في إحدى حُجُرَاتِ هذه المدرسة. ولكنْ مُنْذُ سنتين أو ثلاث سنوات انتقل مكانُ درسِهِ إلى داخل مؤسّسة آستان قدس. ولا يوجد في هذه المدرسة دروسٌ مهمّة.

٩- مدرسة عبّاسقليخان

تَقَعُ هذه المدرسةُ في الجهة الجنوبيّة السّفلى للشّارع، وتُعَدُّ من المدارس الكبرى والمسكونة في حوزة مشهد العلميّة، ولها ساحةٌ واسعةٌ، وتشتمل هذه المدرسةُ على طبقتين.

باني هذه المدرسة هو عبّاسقليخان بيكلر بيكى (حاكم) كلّ خراسان في زمن الشّاه سليمان الصّفويّ. وقد انتهى بناءُ هذه المدرسة سنة ١٠٧٧ ق. ويوجدُ كلامٌ للشّاه سليمان مكتوبٌ على باب مدخل هذه المدرسة بخطّ نستعليق، حيث ورد فيه: «... سماحة وجلالة عالي المقام أمير الأمراء العظام نظاما للأيالة والشوكة والعزّ والإقبال عبّاسقليخان غلامزاده حاكم كلّ خراسان...».

ولهذه المدرسةِ موقوفاتٌ زراعيّةٌ كثيرةٌ تقعُ خارجَ بوّابةِ الجهة الشّرقيّة لمدينة مشهد، وتصلُ إلى مدينة هرات. أمّا في العصر الحاضر، فهذه الموقوفاتُ ـ الّتي كانت في حدود ثمانين عقارًا زراعيًّا ـ هي فقط:

مزرعة چاه نو المتّصلة بالسور السّابق لمدينة مشهد، ومزرعة ياقوتي الواقعة على بُعد فرسخ من شمال تربت جام. وفي داخل مدينة مشهد نُزُلٌ للمسافرين قريبٌ من المدرسة، وأيضًا ١٨ دكّانًا متّصلًا بالمدرسة. ويقعُ حمّام عباسقليخان خلفَ المدرسة. وهذه كلّها من موقوفات المدرسة.

وأكثر الطلّاب الساكنين فيها هم طلُّاب شرقيّون[١]. ويصلُ اليومَ عددُ الطلّاب فيها إلى حدود ٢٢٠ طالبًا. وإلى سنواتٍ قليلةٍ خلت، كانت إدارة هذه المدرسة وإدارة الموقوفات تحت يد المتولّين الواقعيّين، الذين كأنّهم كانوا أولاد الواقف. لكن بسبب بروز الاختلافات وتدخُّل إدارة الأوقاف في أمور هذه المدرسة، وتسلُّمها الإدارة بشكل مستقلّ، صارت هذه المدرسةُ اليومَ تحتَ إدارة الأوقـاف. وُيعطى للطلّاب من عوائد الموقوفات ما يقارب ٢٠٠ ريال سَنَوِيًّا. وهو مبلغٌ زهيدٌ جِدًّا. وليس هناك أيُّ قيدٍ أو شرطٍ لدخول الطالب إلى هذه المدرسة والسَّكَنِ فيها.

والمتصدّي الدّاخلي هو الشّيخ صفر عطائي، وأمينُ المكتبة الحديثة هو السيّدُ حبيب وحيدي، والخادم والمسؤول عن السّكن هو غلام حيدر زائدي.

---

(١) وهم من أفغانستان وإيل، حيث هاجر كثيرٌ منهم منذ سنوات طويلة إلى خراسان، وسكنوا في المدن والقرى الواقعة بين إيران وأفغانستان واختاروا الجنسيّة الإيرانيّة. وفي مشهد، يسمّون الشرقيّين الآتين من إيل بالبربر.

١٠- مدرسة ابدالخان[٢٥]

تقعُ هذه المدرسة في داخل أحد الأزقّة السّفليّة للشّارع بالقرب من مقبرة پير پالان دوز. ولا يوجدُ أيّةُ كتابةٍ أو تاريخٍ، بحيثُ يُمْكِنُ أن نعرف من خلالها زمان تأسيس هذه المدرسة واسم الباني والمؤسّس. وليس من الواضح لدينا الاسمُ الواقعيُّ والصّحيحُ لهذه المدرسة؛ فقد ورد اسمُها في **مطلع الشمس**: «عبدلخان»[(١)]، لكنّها الآن تلفظ باسم ابدالخان الذي عُرفت به.

وضعُ هذه المدرسة من حيثُ التنظيمُ سيّئٌ، وحُجُرَاتِ الطابق السّفليّ مُظلِمةٌ وأسوأُ من حُجُراتِ سائر المدارس الأخرى في مشهد. ومنذ عشر سنوات أعيدَ تعمير بناء المدرسة وتجديده بواسطة أشخاص صالحين؛ لكن مع ذلك، لا تزالُ في حاجةٍ إلى مزيد من الإعمار. ويصلُ عددُ طلّابِها السّاكنين فيها إلى ما يقرب من ٨٠ طالبًا. وتتولّى منظّمة الأوقاف إدارة أمورهم مباشرة.

لا يوجد لدينا معلوماتٌ كافيةٌ عن الموقوفات الواقعيّة الأساسيّة لهذه المدرسة، وما نعلمه فعلًا هو أنّ موقوفات هذه المدرسة هي مزرعةٌ وقليلٌ من الدّكاكين ونُزُلٌ صغيرٌ للقوافل. ويوزّع من هذه العوائد الشهريّة على كلّ طالب من الطلّاب الساكنين في هذه المدرسة ١٨٠ ريالًا.

---

(١) ج ٢، ص ٢٨.

١١- مدرسة سليمانخان[٢٦]

تقعُ هذه المدرسةُ في نهاية السّوق الكبيرة مقابل مسجد الشاه القديم. وهي أجددُ مدرسةٍ من بين المدارس القديمة للحوزة العلميّة.

وقد بناها وأسّسها اعتضاد الدولة[١] القاجاريّ الذي هو من الأمراء المعاصرين لآقا محمّد خان القاجاريّ. وقد أنهى بناءَها سنة ١١٥١ ق. وتتألّف هذه المدرسة من طابقٍ واحدٍ فيه ساحةٌ مربّعةٌ تحيطُ بها ١٨ غرفةً. وفي سنة ١٢٨٢ ق، قام بعضُ الأمراء القاجاريّين بترميمها والمحافظة على بعض الموقوفات التي كانت في معرض التَّلَف.

ويتولّى هذه المدرسة الآن أحدُ أولاد الواقف، وهو المهندس علي رضا سليماني. وأمّا إدارة أمور المدرسة، فقد جعلها الشيخ أحمد الكفائيّ بيدِ مندوبٍ من طرف المتولّي. وقد كتبت موقوفات هذه المدرسة على لوحة صخريّة بمحاذاة مدخل المدرسة، وهي: دو دانگ من قرية حصار امير، و٨ من ٨٠ دانگ من قناة شارع باغ تپه سلطانيّه كاشمر، و٥ دكاكين متّصلة بالمدرسة. وتصرَفُ عوائدُ هذه الموقوفات في شهريّة الطلّاب، وصيانة المدرسة، والتكاليف الضّروريّة.

ويسكن فيها ٥٠ طالبًا، يأخذُ كُلٌّ منهم ٢٠٠ ريال شهريًّا بوصفها وقفًا في المدرسة.

---

(١) وقد نُقش اسم الواقف اعتضاد السلطنة على لوحةٍ صخريّةٍ إلى جانب مدخل المدرسة. لكنّ الصحيح بنظر صاحب **مطلع الشمس** (ج ٢، ص ٢٦٢) أنّه اعتضاد الدولة.

١٢- مدرسة جعفريّه

تقعُ هذه المدرسةُ عند نهايةِ السّوق الكبيرة في داخل زقاق مير علمخان. وبناؤها جديد وحديث التّأسيس.

وقد أسّسها ووقفها الشّيخ غلام حسين التبريزيّ الذي هو أحد علماء مشهد وأئمّة جماعتها. وقد بُنيت سنة ١٣٨٠ ق على الطّراز الحديث لِسَكَنِ الطُلّاب، بواسطة جمع من الخيّرين في مشهد.

مساحةُ هذه المدرسة صغيرةٌ، وتشتملُ على: غرفةٍ تقعُ في الجهة الشّماليّة والجنوبيّة من المدرسة، ومطبخٍ، ومرفقٍ للغسيل. ويختلفُ إلى حدٍّ ما تنظيمُ الغُرَفِ والممرّات عمّا هو عليه في أبنية المدارس القديمة. وهي بلحاظ الإضاءة والجهات الصّحيّة حديثةٌ نسبيًّا وقابلةٌ للسكن.

وأراد المؤسّس من إنشائها أن يدرس بعضُ طلّاب العلوم الدّينيّة الفقهَ والحديثَ والكلامَ والتّفسيرَ، ويصرفوا كلّ وقتهم في تحصيلها، وألّا يصرفوا وقتَهم في دراسة سائر العلوم، مثل: علوم اللّغة والأصول والفلسفة والعلوم الجديدة ـ التي يرغب بعض الطلّاب في تعلّمها ـ. لذلك تُعدّ دراسة العلوم الأربعة المذكورة ـ أي: الفقه والحديث والكلام والتّفسير ـ من أهمّ شرائط السَّكَن في هذه المدرسة، بل هو شرط مذكور في وثيقة الوَقْف أيضًا.

وأمّا سائرُ شروطِ سَكَنِ الطلّاب في هذه المدرسة، فهي:

١- أن يكونَ الطّالبُ قد أنهى دراسةَ المقدّمات، وبدأ على الأقلّ بدراسة شرح **اللّمعة** ـ أول كتاب درسيّ في علم الفقه ـ.

٢- ألّا يتغيّبَ الطّالبُ في أيّام التّحصيل أكثر من ثلاثة أشهر.

٣- ألّا يُعمِلَ الواسطةَ والمحسوبيّةَ للدّخول إلى هذه المدرسة والسّكن فيها.

٤- أن ينجَحَ في الامتحانات الدّاخليّة لهذه المدرسة.

٥- ألّا يستقبلَ الضيوفَ ليلًا في حُجْرَتِهِ أكثرَ من ليلةٍ واحدةٍ.

وقد ذُكر بعضُ هذه الشرائط في وثيقة الوقف، وبعضُها مكتوبٌ في النّظامِ الحاليِّ لهذه المدرسة.

ويسكُنُ الآن فيها ٢٩ طالبًا تَوَفَّرَتْ فيهم الشّروطُ المطلوبةُ ويدرسون الموادَّ الأربعَ آنفة الذكر.

وللطّالبِ حرّيّةُ اختيارِ الدّرسِ المرتبطِ بهذه الموادِّ الأربع والأستاذ الّذي يدرّسها. وبإمكانه المشاركةُ في أيّ حلقةٍ درسيّةٍ خاصّةٍ. نعم، الدّرس الوحيد الذي يعقد في هذه المدرسة هو درس أصول العقائد أو علم الكلام. وليس درسًا رسميًّا، بل لا يُعْقَدُ إلا في أيّام الجُمُعة.

وتجرى الامتحانات في هذه المدرسة ـ بخلاف المدارس الأخرى في حوزة مشهد العلميّة ـ بشكل شِبْهِ دَوْرِيٍّ. ويقدّمُ الطلّابُ ـ لأكثرَ من مرَّةٍ في السّنة ـ امتحاناتٍ في الموادِّ التي يدرسونها عند أولياء هذه المدرسة. ولا يعيَّن مسبَقًا وقت الامتحان، بل يبلّغ الطّالب به قبل عدّة أيّام فقط، ليتمكَّنَ من الاستعداد له. كما لا يعيّن بشكلٍ مُسْبقٍ وقطعيٍّ عدد الامتحانات في السّنة.

وقد خصّص مؤسّسُ هذه المدرسة شهريّةً محدّدةً لطلّابها وهي ٣٠٠ ريال للّذين ينالون درجة أكثر من ١٥ في الامتحان الدّاخلي و٢٠٠ ريال لغيرهم.

وليس لهذه المدرسة موقوفاتٌ خـاصّـةٌ، بل تؤمَّن مصاريفُها والشّهريّاتُ الّتي تدفعُها للطّلاب من إجـازات المراجع لصرف سهم الإمام عليه السلام.

والآن، يتولّاها نفس الواقف والمؤسّس، ثمّ يخلفه ـ طبقًا لوثيقة الوقف ـ أحدُ أولاده.

١٣- باغ رضوان[٢٧]

تقعُ هذه المدرسةُ في الجهة الشّماليّة لمستديرة الحرم الرّضويّ. وكانت في الماضي (أي: قبل ١٣١٠ ش) جُزءًا من المقبرة القديمة المعروفة باسم: قتلگاه. أمّا بعد إصلاح الطّرقات سنة ١٣١٠ ش وإنشاء مستديرة الحرم الرّضويّ وشارع طبرسي، أصبح جزءٌ كبيرٌ من هذه المقبرة تحتَ تصرُّفِ بعضِ الأشخاص. فأحدثوا فيها المنازلَ والمحالَّ التّجاريّةَ وغيرَ ذلك. بينما بَقِيَ القسمُ الآخرُ مُشَجَّرًا وتابعًا للدوائر الحكوميّة.

وفي سنة ١٣٣٥ ش/١٣٧٠ ق، تولّى الميرزا حسين السبزواريّ (المتوفّى سنة ١٣٤٥ ش) ـ وهو أحدُ العلماء البارزين في مشهد ـ إدارةَ هذا القسم المشجّر، وقام ببنائه على طرز بناء الحرم الرضويّ (الصّحنان القديم والجديد)، بحيثُ يشتمِلُ على غُرَفٍ من الجهات الأربع وإيواناتٍ مُرْتَفِعَةٍ. وبذلك يكون هذا القسم من المقبرة القديمة قتلگاه قد تبدّل إلى مقبرة حديثة ومنظّمة.

وقد سكن في غُرَفِ هذه المدرسة ـ التي يشتمِلُ كُلٌّ منها على أكثرَ من قبرٍ أو صارت كذلك فيما بعد ـ بعض طلّاب مشهد الذين لا يملكون غرفًا في مدارسهم. وقد اعترض بعض علماء مشهد على هذه الغرف؛

بسبب عدم توفر الضوابط الشرعيّة والصحيّة فيها، فهي غيرُ قابلةٍ للسَّكَن. ومع ذلك، فقد رَضِيَ بعضُ الطلّاب بالسّكن فيها: أولًا: بسبب قلّة المساكن في مدارس الحوزة العلميّة؛ وثانيًا: بسبب نفوذ الميرزا حسين السبزواريّ.

وخلال مُدَّةٍ قصيرةٍ سَكَنَ مجموعةٌ من الطلّاب ذوي الحالة العلميّة والاجتماعيّة المتدنّية في هذه الغرف غير القابلة للسّكن بلحاظ الرّطوبة والإضاءة غير الكافية.

وبعد عدّة سنوات قام الميرزا حسين السبزواريّ ببناء الطابق الثاني، حيث سكن في غرفه مجموعةٌ أخرى من الطلّاب. وشيئًا فشيئًا تحوّلت باغ رضوان ـ مع كونها مقبرةً ـ إلى مدرسة علميّة.

وفي سنة ١٣٤٢ ش ـ حيث كان لا يزالُ بانيها ومؤسّسها على قيد الحياة ـ تولّت العتبةُ الرّضويّةُ إدارتَها، فأصبَحَتْ باغ رضوان في عداد المؤسّسات التّابعة للعتبة الرّضويّة. ويسكُنُ الآن فيها ما يقرب من ١٥٠ طالبًا متلبّسًا بالزّي العلمائيّ، وبعضُهُم من غير طلّاب العلوم الدّينيّة ويعتاشون من قراءة القرآن على القبور، وما كان من هذا القبيل.

١٤- مدرسة رضوان

تقعُ في زُقاق عيدگاه، ويسكنُها خمسة طُلَّاب فقط. ويبدو أنّه اشتُرط في وثيقة الوقف ألّا يزيدَ عددُ الطلّاب السّاكنين فيها عن خمسة. وقد بُنِيَتْ في زمان نادر شاه. وعلى الرّغم من قلّة موقوفاتها، إلّا أنّ عوائدَ الوقف لكلّ طالب فيها أكثرُ منها في المدارس الأخرى لقلّة ساكنيها.

ويتولّى هذه المدرسة بانوزينت نيازمند؛ أحدُ أحفاد الواقف[٢٨].

١٥- مدرسة آية الله الميلانيّ

تحدّثنا بالتّفصيل عنها في الفصل الثاني من القسم[١].

دخل الطلاب

تجدُرُ الإشارةُ إلى أنّ البحثَ في هذا القسم مُنْصَبٌّ على دخل الطلّاب من الحوزة العلميّة فقط، بغضّ النّظر عن سائر مداخيلهم الخاصّة. وعلى الرّغم من أنّ أكثرَ طلّاب الحوزة العلميّة في مشهد هم من عائلات ذات وضعٍ مادّيٍّ عسيرٍ منتميةٍ إلى الطّبقة الثّالثة، إلّا أنّهم يمتلكون مدخولًا خاصًّا من آبائهم وعائلاتهم. ويشكّل هذا العائد موردًا مهمًّا وكافيًا. لكنّ عائداتِ الخطابة والمِنبر والأسفار التّبليغيّة ـ في السّنوات الأخيرة ـ تكفي على الأقلّ لنصف مصروف هؤلاء الطلّاب. لذا، يمكنُ اعتبارُها من أهمّ موارد الدّخل عندهم.

ويعتبرُ الوضعُ الاقتصاديُّ الحاليُّ لحوزة مشهد العلميّة جيّدًا ومرفّهًا بالقياس إلى الأزمنة السّابقة لهذه الحوزة. وحسبما يتوافرُ بين أيدينا من قرائنَ ووثائقَ ناقصةٍ عن الحوزة العلميّة، فإنّ الطلّاب ـ في زمان رئاسة الميرزا محمّد آقا زاده وآية الله القمّيّ ـ كانوا يعيشون بعُسْرٍ وضَيْقٍ، ويَسُدُّونَ رَمَقَهُمْ بمدخولٍ زهيدٍ.

أهمُّ دخلٍ للطّلاب هو عائدات وقف المدارس. ولم يكن لديهم دخل من سهم الإمام إلّا شهريّةٌ زهيدةٌ وشهريّةُ آية الله القمّيّ المتقطّعة. وكان لا بدّ لعدّةٍ من الطلّاب الذين لا يقدرون على تحمّل الحياة الصّعبة

(١) مع الأسف، لم يَرِدْ ذكرُها في هذا الفصل.

والشّاقّة من اللّجوء إلى أعمال أخرى، من قبيل: كتابة الرّسائل، وقراءة القرآن ـ التي تسمّى في عُرْفِ المشهديّين بـ حافظي، والتي كانت شائعة باعتبار كثرة المقابر ـ لتأمين معاشهم، أو يتركون الدراسة وينخرطون في سلك الوظائف الحكوميّة ـ التي كان من السّهل على طلّاب العلوم الدّينيّة الالتحاق بها ـ. أمّا بقيّةُ الطلّاب الّذين يعتبرون الدراسة أمرًا مقدّسًا، فقد أكملوا طريقَ العلم الشّاق بِعِزَّةِ نفسٍ وإرادةٍ صلبة.

وقد تغيّر في العصر الحاضر الوضعُ الاقتصاديُّ لطلّاب مشهد، وذلك: أوّلًا: لِرَواج الشّهريات التي تقسّم بينهم من سهم الإمام عليه السلام؛ وثانيًا: لوجود عائدات الخطابة والتّبليغ التي أوجبت تحسّن مستوى معيشة الطلّاب بالمقارنة مع الأيّام الماضية.

وفي العصر الحاضر تُعْتَبَرُ الشّهريّات ـ الّتي يوزّعها مراجع التّقليد ورؤساء الحوزة من سهم الإمام عليه السلام ـ العُمْدَةَ في مدخول الطلّاب من الحوزة. ويأتي في الدّرجة الثّانية موقوفاتُ المدارس.

ومن بين مدارس مشهد فإنّ مدرسة نوّاب وسليمانخان ومدرستين أخرَيَين تمتلك شهريّاتٍ منظّمةً. ويوزّع في مدرسة نوّاب لكلّ طالبٍ يسكن فيها ٤٠٠ ريال شهريًّا، وفي مدرسة سليمانخان ٢٠٠ ريال. وهو مبلغٌ غيرُ ثابت؛ لأنّه إن احتاجت المدرسة إلى صيانة، فإنّها تُصْرَفُ من عائدات الوقف. وهذا ما يؤدّي قهرًا إلى نقصٍ في الشّهريّة. وقد يستمرُّ هذا الواقع لعدّة أشهر. ولو غادر بعض الطلّاب المدرسة، فإنّ شهريّةَ باقي الطلّاب تزدادُ إلى أن ينتسب طلّابٌ جُدُدٌ إلى هذه المدرسة.

وقد خسرت بقيّةُ المدارس ـ الّتي كان لها كثيرٌ من الموقوفات ـ موقوفاتها بسبب إهمال المتولّين أو عدم أهليّتهم للإدارة أو خيانتهم

وسوء تصرّفاتهم. وأمّا ما بَقِيَ من هذه الموقوفات إلى الآن، فإنّ عوائدها تُصرَف في الحاجات الضّروريّة للمدرسة، من قبيل: التّصليحات، وتكاليف المياه والكهرباء، وأجور المتولّين والعاملين. فلا يبقى منها شيءٌ للطّلاب السّاكنين في هذه المدارس. ولذا، لا يملك الطّلاب في أكثر مدارس مشهد شهريّاتٍ ثابتةً. ولو صادف أن أعطت بعض المدارس ـ كمدرسة ميرزا جعفر ـ مبلغًا زهيدًا ـ ما يقارب ٥٠ ريالًا ـ للطّلاب، فسيكونُ غيرَ واف ولا دائميٍّ؛ إذ قد لا يوزَّعُ لشهر أو أكثرَ.

ويـوزَّعُ قسمٌ من مداخيل موقوفاتِ مدرسة فاضلخان المشهورة ـ والّتي تُعْتَبَرُ من أغنى مدارس مشهد وأفضلِها عمرانًا، والّتي تهدّمت أثناء عمليّات إصلاح الطّرقات سنة ١٣١٠ ش ـ على طلّاب المدارس الّتي لا وقفَ لها، حيث يحصل الطالب على أقلّ من ٥٠ ريالًا شهريًّا.

وما يتمُّ توزيعُه شهريًّا على طلّاب الحوزة بشكل دوريٍّ من رؤساء الحوزة أو مراجع التّقليد يسمّى شهريّةً. وهي غالبًا ما تؤمَّن من سهم الإمام عليه السلام، وأحيانًا من الوجوه الشرعيّة الأخرى؛ مثل: سهم السّادة، والزكاة. وليس في مدينة مشهد شهريّةٌ خاصّةٌ بها؛ بمعنى أن يُخَصَّصَ مقدارٌ معيَّنٌ من المال لطلّاب هذه المدينة أو لإحدى قراها. وعلى هذا الأساس، يمكنُ تقسيمُ شهريّاتِ مشهد إلى نوعين:

النّوع الأوّل: الشهريّات العامّة الّتي توزّع على جميع الطلّاب مهما اختلفت مراحلهم الدراسيّة.

النّوع الثّاني: الشّهريّات التي تُعطى لفئةٍ خاصّة منهم، الّتي يمكن تَسْمِيَتُها بالشّهريّات الخاصّة.

أمّا الشهريّات العامّة، فهي على النّحو التّالي:

١- شهريّة آية الله الشاهروديّ (المقيم في النّجف): الّتي تُعطى شهريًّا، وقيمتها للطّالب العَزَب ١٥٠ ريالًا، وللمتأهِّل ٢٠٠ ريالًا.

٢- شهريّة آية الله القمّيّ (المقيم في مشهد): هي للطالب العَزَب ما يعادل ١٦٠ ريالًا من الخبز، وللمتأهّل ما يعادل ٢٠٠ ريالًا من الخبز أيضًا.

أوضاعُ الطلّاب الصّحيّة

ليس في حوزة مشهد العلميّة أيُّ مؤسّسةٍ تهتمُّ بتأمين الخَدَمَات الصّحيّة للطّلاب. ولا يزالُ هذا الأمرُ المهمُّ والضروريُّ لجماعة الحوزويّين في مشهد منذ زمنٍ إلى الآن طيّ الغفلة والنّسيان.

وعلى الرّغم من أنّ مؤسِّسي مـدارس مشهد العلميّة قد تبرّعوا بموقوفاتٍ كثيرةٍ ذاتِ دَخْلٍ عالٍ نوعًا ما، إلّا أنَّهم لم يلتفتوا إلى الجانب الصّحي للطّلاب. حتّى إنّنا لا نجدُ موردًا واحدًا يكون فيه الوقف معيَّنًا للطبابة والجانب الصّحي لطلّاب العلوم الدّينيّة. ولم يَحْظَ هذا الجانبُ المهمُّ أيضا باهتمام رؤساء الحوزة العلميّة سابقًا ولا حاليًّا. ولذا، لا نجدُ في حوزة مشهد العلميّة ـ وهي الحوزة الّتي تملك أكثرَ من مدرسة، والّتي يصل عددُ طلّابها إلى المئات، وعددُ أساتذتها إلى العشرات ـ مستوصفًا صحّيًّا داخليًّا يعالج ـ على الأقلّ ـ الحالات الطبّيّة العادّيّة.

وفي ظلّ هذا الوضعِ غيرِ المنظّم للمدارس العلميّة، وضيقِ الغُرَف ورطوبتِها وضعفِ إضاءتها، وقلّةِ الموادّ الغذائيّةِ نتيجةَ الفَقْرِ والحرمان، صار طلّاب العلوم الدّينيّة في معرض الإصابة بالأمراض الجسميّة والعصبيّة. ومع ذلك، فلا وجودَ لأيِّ مرجعيّةٍ صحّيّةٍ تتولّى مهمّة تنظيم العلاج أو

الوقاية. ولو ابتُلِيَ في هذه الحوزة الشّيعيّة الكبيرة أحدُ الطلّاب بمرضٍ ما، فلن يَسمحَ له مدخولُه الماليُّ بمعالجته. وبالتالي، يصبح بين نارين: فإمّا أن توافيَهُ المَنِيَّةُ، وإمّا أن يبقى إلى آخر عُمُرِهِ يصارعُ ألمَ المرض.

والحاصل: أنّ غياب الموضوع الصّحيّ عن حوزة مشهد العلميّة يشكّل فراغًا كبيرًا وخطيرًا فيها، ولا بدّ لأوليائها من التصدّي له في أسرع وقت.

نشاطاتُ الحوزة

أ- الإصدارات

ليس في هذه الحوزة إلا مجلّة سنويّة تصدُرُ منذ سنتين، وتشتمِلُ على مقالاتٍ لفضلاءَ وكتّابٍ حوزويّين. طبعًا، لم تكن تصدُرُ من الحوزة بشكلٍ رسميٍّ أو بعنوان كونها مجلّة الحوزة، وإنّما كانت تُنْشَرُ من قِبَل أحد الطلّاب الذي يُدعى السيد حسين الموسويّ.

ب- التّبليغ الدّينيّ

لم يكن في حوزة مشهد العلميّة جهةٌ رسميّةٌ تُعنى بالتّبليغ الدّينيّ. ومع ذلك، فقد كان يسافر بعضُ الطلّاب أثناءَ العُطَلِ الطّويلة ـ كشهرَي محرّم وصفر وشهر رمضان المبارك ـ للتبليغ. لكنْ لم تكن الحوزةُ تديرُ هذه السفرات التبليغيّة، بل كانت ذاتَ طابعٍ شخصيٍّ.

الأفكارُ الإصلاحيّةُ وآثارُها على الحوزة[٢٩]

حازتْ فكرةُ إصلاح الحوزة وتنظيمها عبر إيجاد تشكيلاتٍ مناسبةٍ للزمان والمكان على أهمّيّةٍ كبرى من بين الأفكار الإصلاحيّة. ولم يؤثّر هذا التوجُّهُ

في حوزة مشهد إلى الآن، بل على العكس من ذلك، كانت له آثارٌ سلبيّةٌ، من قبيل: التّصادم مع الحوزة، واتّجاه الطلّاب نحو مسائل غير حوزويّة. ولعلّ هذا ما جعل عدد الطلّاب الخارجين من هذه الحوزة والمتوجّهين نحو العمل الإداريّ أو الحرّ أكثرَ من عدد الطلّاب الخارجين من سائر الحوزات.

وفي المواجهات الأخيرة للحوزة، تحرّكت حوزة مشهد بتأثيرٍ من حوزة قُمّ أيضًا، وصارت أكثرَ قبولًا للأفكار المناهضة للدولة، وشاعت فيها أفكارُ الحرّيّة. وهي الآنَ في طَوْرِ الانتشار بشكلٍ أكبرَ. ولهذا، نجدُ بعضَ طلّابها كانوا مطاردين من قبل الأجهزة الأمنيّة للدّولة، وآخرين تعرّضوا للإيذاء والسّجن.

القسم الرّابع:

أنْشِطَةُ الحوزة العلميّة، وأثرُ الأحداث الجديدة في الحوزة

الأنشِطةُ التبليغيّةُ والاجتماعيّة

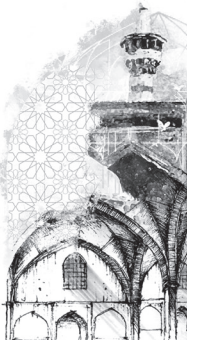

التّبليغُ الدّينيّ

على الرَّغم من كون التّبليغ الدّينيّ من أهمِّ دواعي إنشاء أيّ حوزة علميّة، وكونِ الحوزات الشّيعيّة العلميّة تطالبُ بأن تكون هذه الوظيفة داخلَ برامِجِها، نجدُ أنّ حوزةَ مشهد العلميّة لم تهتمّ إلى الآنَ بهذا الأمر بشكلٍ مُباشِر؛ أي: لا وجود لمؤسّسةٍ أو فردٍ من قِبَل الحوزة العلميّة في مشهد يتولّى أمور التّبليغ في مدن إيران وقراها. نعم، لا يسعُنا إنكارُ دورِ الحوزة العلميّة في تربية المبلّغين؛ فجميعُ المبلّغين تقريبًا من تربية الحوزة العلميّة بشكلٍ مباشرٍ أو غيرِ مُباشرٍ.

وبشكلٍ عـامٍّ، تنحصرُ الأنشطةُ التّبليغيّةُ للطّلاب في مشهد بالمحاضراتِ المِنبريّة. وهذا نوعٌ خاصٌّ من الخطابة ينتشرُ منذ زمن في جميع أماكن التّجمّع الشّيعيّ ـ وبنمطٍ واحدٍ ـ. وفي هذا النّوع من الخطابة، يلقي الخطيب محاضرةً حيث يبدأ بالحمدِ والثّناءِ على الله والصّلاة على النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وهذا ما يكونُ عادةً باللّغة العربيّة ـ ثمّ يذكر بحثًا ويبيّنه للناس، ويقرأ في الختام شيئًا من سيرة الإمام الحسين عليه السلام بشكلٍ حزينٍ ومُفْجِعٍ.

ويمكنُ تقسيمُ الخطباءِ في مشهد إلى ثلاثة أقسام:

١- الخطباءُ المحترفون

ينتمي إلى هذا القسم أولئك الأشخاصُ الّذين دخلوا الحوزةَ العلميّةَ، وقطعوا شوطًا دراسيًّا فيها، وبذلوا جهودًا شخصيّةً في مطالعة التّاريخ والحديث والتّفسير، ووصلوا إلى هذه المرحلة الاحترافيّة والمميّزة بسبب ممارستهم الدّائمة للخَطَابة. ويؤمّنون معاشهم من المِنبر والخَطَابة الدّينيّة.

٢- الخطباءُ الموسميّون

في أيّام العزاء ـ أي: في شهرَي محرّم وصفر ـ وفي شهر رمضان المبارك تصادف عطلة الحوزة العلميّة، فيسافرُ قسمٌ كبيرٌ من الطلّاب إلى المدن والقرى من أجل التّبليغ، حيثُ يُقِيمُونَ المجالسَ والمحاضراتِ المِنبريَّةَ. وعلى الرَّغم من كونِ العَمَلِ نشاطًا تبليغيًّا، إلّا أنّه يساهمُ بمقدارٍ مهمٍّ في تأمين معيشتهم. وقد نجدُ في هذا القسم بعضَ المنبريّين الّذين يضاهون في مهارتهم الخطابيّة منبريّي القسم الأوّل. ولا يمكنُ تصنيفُ هذا البعض مع منبريّي القسم الأوّل؛ لأنّهم لم يفرّغوا كاملَ وقتِهم للتّبليغ والخطابة، فلا يعملون بذلك إلّا في شهري محرّم وصفر وشهر رمضان المبارك. لذا كان من الأفضل تسميتهم بالمنبريّين الموسميّين.

٣- قرّاءُ العزاء

ينتمي إلى هذا القسم من لا يُعَدُّ من طلّاب العلوم الدّينيّة؛ حتّى إنّ بعضَهم لم ينخرِطْ في الدراسة الحوزويّة ولو ليومٍ واحدٍ. ورصيدُ هؤلاء لا يعدو الاطّلاع على بعض الأحاديث وأبيات الشّعر وشيءٍ بسيطٍ ممّا جرى في كربلاء.

ويزيد عددُ هذا القسم عن سابقَيه. وله محبّون ومعجَبون من جمهور الناس أكثر من المعجَبين بالقسمَين السابقَين.

المُلحَقات والإضافات

لقد كتب السيّدُ الخامنئيُّ هذا الكتابَ سنة ١٣٤٧ ش. ومُنْذُ ذلك الحين إلى الآنَ، حَصَلَتْ تغييراتٌ كثيرةٌ في برامج الحوزة العلميّة ومدارسها، وهدّمت بعضُ المدارس، وتغيّر بعضُها، وصار بعضُها الثالث فَعَّالًا بعد انتصار الثورة الإسلاميّة. وهذا ما اقتضى أن نكتُبَ بعض التوضيحات على بعض مطالب هذا الكتاب، فكانت على شكل ملحقاتٍ وإضافاتٍ، جعلناها في آخر هذا الكتاب حتى يصبحَ الكتابُ أكمَلَ.

[١] أُزيلتْ هذه السّوق أثناء التهديم الأخير لأطراف المستديرة.

[٢] تأسّست سنة ١٣٤٢ ش.

[٣] تأسّست سنة ١٣٤٤ ش.

[٤] تأسّست سنة ١٣٤٠ ش.

[٥] تأسّست سنة ١٣٤٣ ش.

[٦] تأسّست سنة ١٣٤٤ ش.

[٧] تأسّست سنة ١٣٣٢ ش.

[٨] والمستوصفات الأخرى هي:

- مستوصف عليّ بن موسى الرضا عليه السلام الواقع قرب شارع امام رضا (طهران)، وقد تأسّس سنة ١٣٤١ ش.
- دار الشفاى چهارده معصوم الواقعة على مفترق كشتارگاه، وقد تأسّس سنة ١٣٤٦ ش.
- دار الشفاى امام سجاد عليه السلام الواقع في زقاق طلّاب گلشهر، وقد تأسّس سنة ١٣٥٨ ش.
- مستوصف حضرت مهدى عليه السلام الواقع في شارع دريا عند مستديرة ميثم، وقد تأسّس سنة ١٣٥٨ ش.
- مستوصف امام زمان عليه السلام الواقع في شارع سرخس، وقد تأسّس سنة ١٣٥٨ ش.
- مستوصف حضرت رقيّه الواقع في شارع آزادى، وقد تأسّس سنة ١٣٦٠ ش.
- دار الشفاى امام حسين عليه السلام الواقع في اتستراد فرودگاه، وقد تأسّس سنة ١٣٦٠ ش.
- مستوصف امام حسن مجتبى عليه السلام، الواقع في شارع خسروى، وقد تأسّس سنة ١٣٦١ ش.
- مستوصف علوى الواقع في شارع امام رضا عليه السلام، وقد تأسّس سنة ١٣٦١ ش.

- دار الشفاى امام صادق عليه السلام الواقع في شارع طبرسي وفي زقاق راسته نوغان، وقد تأسّس سنة ١٣٦٢ ش.
- مستوصف امام حسن عسكرى عليه السلام الواقع في شارع بهرآباد، وقد تأسّس سنة ١٣٦٢ ش.
- مستوصف محبان الرضا عليه السلام الواقع في شارع شهيد هاشمى نژاد، وقد تأسّس سنة ١٣٦٢ ش.
- مستوصف امام حسين بن على عليه السلام الواقع في شارع كوى طلاب، وقد تأسّس سنة ١٣٦٤ ش.

وتُعَدُّ هذه المستوصفات والمستشفيات مَـلَاذًا للطبقة الفقيرة والمستضعفة في مشهد، والتي خرّجت كثيرًا من الشهداء. ويدخُلُهَا يوميًّا مئات المرضى، وغالبًا ما يأخذون الدواء مجّانًا من صندوق المستوصفات.

[٩] آية الله السيد حسن الطباطبائيّ القمّيّ. وهو من علماء مشهد المجاهدين. وكانت له مواقف حادّة ضدّ النظام البهلويّ سنة ١٣٤٢ ش أثناء الاستفتاء أو ما عُرف باسم الثورة البيضاء، فأُسِرَ في مشهد وحُبِس في طهران. وبعد مدّة من مكثه في السجن، أُطلِقَ سَرَاحُه، فعاد إلى مشهد وتابع هجومه على النظام، إلى أن نفَوه إلى سيستان وبلوشستان وزابل، ثمّ نُفِي إلى مدينة كرج، وبقي تحت المراقبة.

وبعد الاحتفالات المشؤومة بمرور ٢٥٠٠ سنة، وقف الشاه ضدّ الإمام الخمينيّ، ولذا صار يعامل الطلّاب والعلماء بنحو قاس.

وبعد نهضة الشعب البطوليّة بقيادة الإمـام الخميني، وفي أوج المظاهرات سنة ١٣٥٧ ش، أُعيد إلى مشهد وحظي باستقبال واسع من الناس.

وبعد انتصار الثورة الإسلاميّة، لم يكن موافقًا على إعدام مسؤولي نظام الشاه الظالم - من قبَل محكمة الثورة ـ ولمصادرة أموال المتموّلين، والتقى بالإمام الخمينيّ، وأجـرى عدّة لقاءات مع الصحف الداخليّة والخارجيّة، وبيّن آراءه السطحيّة تجاه الثورة الإسلاميّة. وعلى أَثَرِ مَواقِفِهِ الحادّة، صار بيتُهُ وِكرًا للمجموعات المتموّلة والمناهضة للثورة لا سيّما حزب خلق المنافق. وقد ذكروا اسم السيد حسن أكثر من مرّة في الراديو بعنوان آية الله. وقد هاجم الحزب اللّهيِّين في مشهد بيتَه؛ لأنّه كان مكانًا لصياغات المؤامرات ضدّ الثورة وللتعامل مع الأجانب. ولأجل حمايته من هجوم شعب مشهد، صار بيتُهُ تحت المراقبة الدائمة للنظام.

[١٠] شهريّة الحوزة العلميّة هي على الشكل التالي:

أ- شهريّة مرجع تقليد العالَم الإسلاميّ، وقائد الثورة الإسلاميّة العظيم، مؤسّس الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة، آية الله العظمى الإمام الخميني مُدَّ ظِلُّهُ العالي:

للأساتذة: ٢٠٠٠ تومان

للطلّاب المتزوّجين: ٢٠٠٠ تومان

للطلّاب الأعزاب: ١٠٠٠ تومان

ب- شهريّة آية الله العظمى المنتظريّ:

للأساتذة: ٥٠٠ تومان

للطلّاب المتزوّجين: ٣٠٠ تومان

للطلّاب الأعزاب: ١٥٠ تومان.

ج- شهريّة آية الله العظمى الخوئيّ:

للأساتذة ولفئة خاصّة: من ١٢٠٠ تومان إلى ١٥٠٠ تومان

للطلّاب المتزوّجين: ١٠٠٠ تومان

للطلّاب الأعزاب: ٥٠٠ تومان.

[١١] انتقلت كتب مكتبة مدرسة ميرزا جعفر إلى مدرسة نوّاب بعد تهديم المدارس سنة ١٣٥٤ وتشرّد الطلاب. وبعد انتصار الثورة الإسلاميّة، أُعِيدَ بناءُ هذه المدرسة من قِبَل المسؤول عن العتبة الرضويّة الشيخ واعظ الطبسيّ، فصارت المدرسةُ ذاتَ بناءٍ عظيم، وتغيّرَ اسمُها إلى جامعة علوم إسلامى رضوى، فانتقلت كُتُبُ المدرسة إلىً مكتبة هذه الجامعة.

[١٢] بعد أن تهدّمت المدارسُ سنة ١٣٥٤ من قِبَل النظام البهلويّ، وتشرّد الطلّاب، انتقلت مكتبة مدرسة خيراتخان إلى مدرسة نوّاب. ثمّ بعد تجديد بناء المدرسة، انتقلت الكُتُبُ إلى مكتبة جامعة علوم إسلامى رضوى، ليستفيدَ منها الطلّابُ والجامعيّون.

[١٣] تهدّمت مكتبةُ مدرسة دو درب على أَثَرِ تهديم السوق والمدارس العلميّة سنة ١٣٥٤. لكن بعد انتصار الثورة الإسلاميّة، عمَدت العتبةُ

الرضويّةُ إلى تجديد بناء هذه المدرسة ليستفيدَ منها الطلّابُ والحوزةُ العلميّةُ. وليس لدينا أيُّ معلوماتٍ عن كُتُبِهَا.

[١٤] تهدّمت مكتبةُ مدرسة حاج حسن بسبب مشروع توسعة الحرم الرضويّ المطهَّر سنة ١٣٥٤، وليس لدينا أيُّ معلوماتٍ عن كُتُبِهَا.

[١٥] الامتحاناتُ في حوزة مشهد العلميّة:

الامتحانُ العامُّ في الحوزة العلميّة: قبل انتصار الثورة الإسلاميّة، لم يَكُنِ الامتِحانُ مرسومًا في حوزة مشهد العلميّة، على الرَّغم من سعي نظام الشاه الظالم لإجراء الامتحانات في الحوزة العلميّة من خلال التابعين له، من أجل السيطرة على الحوزة، ومعرفة كلّ الطلّاب والعلماء. لكن ذلك لم يتحقّق بسبب الرفض التامّ للعلماء والطلّاب. وأمّا بعد انتصار الثورة الإسلاميّة الراعية لحوزة مشهد العلميّة من قِبَل قائد الثورة الإسلاميّة العظيم آية الله العظمى الإمام الخمينيّ مُدَّ ظِلُّهُ العالي، تمّ إيكال مهمّة تشكيل «هيئة بحث مسائل حوزة مشهد العلميّة» إلى الشيخ واعظ الطبسيّ وكيل الإمام الخمينيّ في محافظة خراسان. وكانت مهمّة هذه الهيئة المؤلّفة من الفضلاء: متابعةَ وضع الطلّاب، والمدارس العلميّة، والبرامج الدراسيّة، ووضع الطلّاب غير الإيرانيّين. وكان لها أثرٌ واضح في هذا المجال.

ومن الإنجازات المُهِمَّة لهذه الهيئة هو إجـراءُ امتحان عامٍّ لكلِّ الطلّاب من خلال التشاور والتعاون مع المدرّسين والعلماء في حوزة مشهد العلميّة. فصار يخضعُ طلّابُ السطوحِ المختلفة إلى امتحانات كَتْبِيَّة وشفهيّة. وقدّموا الجوائزَ النقديّةَ وغيرَ النقديّةِ للحائزين على الدرجة الأولى والثانية؛ لتشجيعِهم وترغيبِهِم. ويُجرى هذا الامتحان في مرحلة

السطح في حوزة مشهد العلميّة مرّة في السنة. وقد حَظِيَ هذا الامتحان بترحيبٍ حارٍّ من الطلّاب والفضلاء المحصّلين. وفي غضونِ ثلاثِ سنواتٍ، كان يشارك في الامتحان كلّ سنة ما يقارب ٥٠٠٠ طالبٍ. وفي هذه الثلاث السنواتِ أيضًا، كان يُجرى امتحانٌ سنويٌّ لاستقبال الطلّاب الجدد إلى الحوزة العلميّة، بحيث يُقبل الطالبُ في الحوزة العلميّة بعد أن ينجحَ في الامتحان، ويكونَ مُستَوفِيًا لبعض الشروط والضوابط.

[١٦] الشيخ الميرزا أحمد مدرّس اليزديّ، هو من المدرّسين ذوي الخبرة. وقد درّس لسنواتٍ طوال في حوزة مشهد العلميّة شرح **اللمعة** و**المكاسب**. ويتميّزُ بتواضُعِهِ وأخلاقِهِ الإسلاميّةِ وزُهْدِهِ وَوَرِعِهِ؛ ممّا جعل له احترامًا خاصًّا في الحوزة العلميّة وفي وسط العلماء والناس. كما قدّره الطلّاب الثوريّون أكثر بسبب مواقفه السياسيّة.

كان المرحوم مدرّس اليزديّ ورعًا وتقيًّا بحيث كان يؤمّن معاشه من الزراعة، ولم يكن ليستفيدَ أبدًا من سهم الإمام. وفي أواخر حياته، كان يعتاش من خلال قراءة القرآن. وأثناء الأحداث السياسيّة في حوزة مشهد العلميّة، كان عاشقًا للثورة الإسلاميّة وقيادتها. وعلى الرَّغم من كِبَرِ سِنِّهِ وانحناءِ ظَهْرِهِ، إلّا أنّه ذهب مع جمعٍ من العلماء سنة ١٣٤٢ للقاء الإمام الخمينيّ؛ ولأجل ذلك أيضًا يكنّ له العلماء المجاهدون والطلاب الثوريّون محبّةً واحترامًا.

[١٧] الإحصاءُ الحاليُّ لحوزة مشهد العلميّة:

يدرس في حوزة مشهد العلميّة ٥٢٠٠ طالب:

١- أئمّة الجماعة: ٣٠٠ شخص

٢- الطلّاب والفضلاء: ٣٩٠٠ شخص

٣- الطلّاب غير الإيرانيّين: ١٠٠٠ شخص.

[١٨] تهدّمت مدسة دو درب سنة ١٣٥٤ أثناء تهديم المدارس. لكنّ العتبة الرضويّة، بعد انتصار الثورة الإسلاميّة، أعادت إعمارَها وأبقت على نمطها التقليديّ والإسلاميّ في البناء. وعمّا قريب ستُصبحُ قابلةً لسكن الطلّاب. ونأمل أن تعود هذه المدرسة، كما كانت، مركزًا لتربية العلماء والفضلاء، فتضفي على حوزة مشهد العلميّة مزيدًا من العَظَمَةِ إن شاء الله.

[١٩] تهدّمت مدرسة پريزاد أثناء تهديم السوق وتوسعة أطراف الحرم الرضويّ سنة ١٣٥٤، ولم يَعُدْ بإمكانِ الطلّاب الاستفادةُ منها. وبعد انتصار الثورة الإسلاميّة، أُعِيدَ بناءُ هذه المدرسة على الطراز القديم من قبَل العتبة الرضويّة، وسوف يستفيدُ منها عمّا قريب المحقّقون في العلوم الدينيّة.

[٢٠] كان مصيرُ مدرسة بالاسر كمدرستي پريزاد ودو درب. وبعد أن قرأ المسؤول عن العتبة الرضويّة الشيخ واعظ الطبسيّ وثيقةَ الوقف واستشار المتخصّصين في هذا المجال، خَلُصَ إلى أنّ أرضَ هذه المدرسة كانت تابعةً للعتبة الرضويّة، وصارت فيما بعد مدرسة علميّة. فبعد أن تشاورَ مع علماء هذه المدرسة، صارت هذه المدرسة جزءًا من الحرم، وستحمِلُ في المستقبل القريب اسم دار الولاية وتكونُ أحد أروقة الحرم المطهّر، وسوفُ تُعقَدُ فيها المحاضراتُ ومجالسُ الوعظ والخطابة.

[٢١] تهدّمت - لأسبابٍ سياسيّةٍ ـ مدرسة حاج حسن سنة ١٣٥٤ أثناءَ توسعة أطراف مستديرة الحرم المطهر، فتشرّد طلّابُها، وصارت أرضُها جزءًا من مستديرة الإمام الرضا عليه السلام.

[٢٢] تهدّمت مدرسة باقريّه عند توسعة أطراف مستديرة الحرم المطهَّر عند متابعة البرامج المُقامة ضدّ الدين في زمن الطاغوت، فتشرّد طلّابُها، وصارت أرضُها تابعةً لهذه المستديرة.

[٢٣][٢٤] مدرسة ميرزا جعفر:

سنة ١٣٥٢، بالتزامن مع أوج الثورة الإسلاميّة في مشهد، نُصّب محافظ لخراسان ونائب للعتبة الرضويّة، وشوهدت محاولاتٌ لقمعِ الثورة الإسلاميّة في مشهد. فقد أرادوا تحويل مدينة مشهد المقدّسة من مدينة دينيّة إلى مركز لِلَّهْوِ والفساد. وعلى هذا الأساس، قاموا سنة ١٣٥٤ بتوسعة أطراف مستديرة الحرم المطهّر، الذي كان عَمَلًا بظاهره لمصلحة الحرم المطهَّر وتسهيلًا لأمور الزوّار، لكنّه يهدف إلى أمورٍ ثلاثة:

١- تهديم عدد من المدارس العلميّة التي كانت مقرًّا للفعاليّات السياسيّة والثوريّة.

٢- تدمير السوق بعنوان أنّه مركزٌ للفعاليّات السياسيّة، وقطع العلاقة بين العلماء وبين التجّار المؤمنين.

٣- إخراج الحرم المبارك للإمام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام من حياة الناس اليوميّة، وتحويله إلى ضريحٍ مستقلٍّ وبعيدٍ. ولذلك، بنَوا جدارًا طويلًا بشكلٍ سريعٍ على أطراف المستديرة.

لقد بدأ تهديمُ السوق والمدارس لتحقيق هذه الأهداف السياسيّة. وقد تابع جهازُ الساڤاك هذا الأمرَ. والهدفُ الأساسُ من توسعة المستديرة وتهديم المدارس هو تشريدُ الطلّاب ومنع تطوّر الثورة الإسلاميّة التي كانت تتبلورُ في ظلِّ وجود المدارس العلميّة وحجراتها الضيّقة والمظلمة والرطبة.

وحَسَبَ الوثائق التي وصلتنا من مركز الساڤاك المنحلّ أن: «مدارس الحوزة العلميّة، لا سيما خيراتخان وميرزا جعفر، كانت مركزًا لفعاليّة العناصر ضدّ النظام ووكرًا لفساد أمن البلاد». ولذلك، كان تهديمُ المدارس أحدَ الأهداف الكامنة وراء توسعة مستديرة الحرم المطهَّر. وعلى أساس هذا الهدف المشؤوم، تهدَّمَ كثيرٌ من المدارس وانطمست آثارها.

وبعد انتصار الثورة الإسلاميّة العظيمة وتعيين الشيخ واعظ الطبسيّ مسؤولًا عن العتبة الرضويّة من قبَل قائد الثورة العظيم، سمّى الشيخ الطبسيُّ هذا المركزَ باسم جامعة علوم إسلامى رضوى، حيث كان ملاحظًا نيّةَ الواقفين ومصلحةَ الوقف ونَشْرَ الثقافة الإسلاميّة. وفي سنة ١٣٦٣، بالتزامن مع افتتاح أوّل مؤتمر عالمي للإمام الرضا عليه السلام، بدأت الفعّاليّة العلميّة لهذه الجامعة، وكانت تُدار بواسطة رئيسٍ وهيئةِ أُمَنَاء. وكان لها برنامجٌ تشترك فيه الدروس الحوزويّة والدروس الجامعيّة. ويتجاوز الآن عددُ طلّابِها مئتي طالبٍ حوزويٍّ وجامعيٍّ.

وقد بُنيت هذه الجامعةُ على مساحة ٢٢٠٠٠ متر مربع، ببناءٍ تقليديٍّ إسلاميٍّ. وتشتمِلُ على ٢٥٠ غرفةَ نوم، و٢٢ صفًّا درسيًّا، و٧ مدارس[١] كبيرة مع تجهيزاتها الكاملة، وقاعةِ محاضرات.

[٢٥] مدرسة ابدالخان: تهدّمتْ هذه المدرسةُ لأسبابٍ سياسيّةٍ سنة ١٣٥٤ أثناءَ توسعة المستديرة، وتشرّد طلّابُها، وصارت جزءًا من أطراف المستديرة.

[٢٦] بعد انتصار الثورة الإسلاميّة، تغيّر اسمُ هذه المدرسة إلى سلميانيّه. وجُدّد بناؤها في طابقين. وتشتمل على ٤٥ غرفةً، وتجهيزات تدفئةٍ وتبريدٍ. ويديرها الشيخ وفائي، ويُشرف عليه وكيلُ الإمام الخمينيّ الشيخ واعظُ الطبسيُّ.

[٢٧] سنة ١٣٥٤، تهدّمت باغ رضوان أثناء توسعة المستديرة، وصارت بقعة خضراء.

[٢٨] المدارسُ التي تأسّس أكثرُها بعد انتصار الثورة الإسلاميّة:

صَنَعَتِ الثَّوْرَةُ الإسلاميَّةُ جوًّا من الحياة، ومهّدت لانتشار الثقافة الإسلاميّة، ولكي ينخرِطَ عشّاقُ العلومِ الإسلاميّة في مدارس مشهد العلميّة. ولمّا كانت المدارس العلميّة الموجودة لا تتّسع لكلّ الراغبين في الدراسات الإسلاميّة، تمّ بناء مدارس أخرى ـ بِحَسَبِ الضرورة ـ كي تكونَ مسكنًا ومَحَلًّا لدراسة طلّاب العلوم الدينيّة. وهذه المدارس هي:

---

(١) المراد هنا: جمع مدْرَس. (المترجم)

١- مدرسة ولى عصر عليه السلام**:** تَقَعُ هذه المدرسة في السوق الكبير سرشور، في زقاق بهاران. وفي سنة ١٣٥٧، جعلَها أحدُ تجّار طهران خاصّةً بسكن الطلّاب، وجعل آية الله الشيخ أبا الحسن الشيرازيّ متولّيًا لها، وأوكل إدارتها إلى أحد طلابها بحيث يكون وكيلًا عنه في الإدارة. يسكُنُ في هذه المدرسة ٣٥ طالبًا تقريبًا، ويشاركون في دروس الحوزة العامّة، ويستفيدون من الشهريّة العامّة التي تقدّمها حوزة مشهد.

٢- مدرسة سيّد عباس سيدان: تقعُ هذه المدرسة في السوق الكبيرة في زقاق نوروزي، وقد تأسّست سنة ١٣٥٧. بناؤها حديث، ويُشرف عليها السيّد عباس سيدان الذي هو أحد علماء مشهد. ويصلُ عددُ طلّابِها إلى ٣٠ طالبًا، يدرسون في مرحلة المقدّمات والسطوح. وتُدار هذه المدرسةُ اعتمادًا على المساعدات الماليّة التي يقدّمها الناس لها. وتؤمّن شهريّة الطلّاب من الشهريّة العامّة التي تعطيها حوزة مشهد العلميّة. وتشترط هذه المدرسة لقبول الطالب في الدراسة فيها: أن يكونَ مستعِدًّا لدراسة العلوم الدينيّة، وأن يكون ذا سابقةٍ حَسَنَةٍ، وأن يلتزمَ بالدين الإسلاميّ المقدّس.

٣- مدرسة موسوى نـژاد: تقعُ في السوق الكبيرة في زقاق مير علم خان. وقد أسّسها السيد حسين مهان پور ـ أحد تجّار السوق ـ سنة ١٣٤٨، وجعلها تحت إشراف الشيخ موسوي نژاد. والدروسُ الرسميّةُ في هذه الحوزة هي: دروس الحوزة العامّة، والأحكام، والعقائد، والقرآن، والأخلاق. ويدرُسُ فيها ١٥٠ طالبًا، ويدرّس فيها خمسة أساتذة لمرحلتي المقدّمات والسطح، حيث يدرّسون من مرحلة المقدّمات إلى مجلّدين من شرح **اللمعة**. ليس هناك شرطٌ خاصٌّ للدخول إلى هذه الحوزة، بل

الشرط الوحيد هو أن يكونَ الشخصُ مؤهَّلًا للدخول. وتربّي هذه المدرسة مجموعةً من الطلّاب الشباب، على وفق برنامج درسيٍّ منظّم وبطرز فكريٍّ خاصّ.

٤- مدرسة موسى بن جعفر عليه السلام: تَقَعُ هذه المدرسةُ في شارع خسروى نو في زقاق پنجه. وقد تأسّست سنة ١٣٩٠ ق/ ١٣٤٩ ش على يد المرحوم السيد حسن موسويان. وقد تولّاها الشيخ موحدي، واستلم إدارتها الداخليّة الشيخ ذاكري. وتُعدّ هذه المدرسة وقفًا خاصًّا للطلّاب، وتؤمّن تكاليفُها عن طريق الأموال الشرعيّة ومساعدات الأشخاص الخيّرين. وتدرّس فيها دروس اللّغة والمقدّمات إلى المعالم. وتشتمل على ١٠٠ طالب و٨ مدرّسين. ولها برنامج دراسيٌّ منظّم. وأغلب طلّابها نشِطون ويدرسون بشكل جيّد. ويُشترط لقبول الطالب في هذه المدرسة ما يلي:

١- توفُّرُ الحدّ الأدنى من عدد الطلّاب لتشكيل حلقة درسيّة.

٢- تعريفٌ من إحدى الشخصيّات أو المؤسّسات الثوريّة.

٣- النَّجَاحُ في امتحان الدخول.

٤- الالتزامُ بقوانين الانضباط.

٥- مدرسة حجّت عليه السلام: تَقَعُ هذه المدرسةُ في شارع ٢٠ متری طلاب. وقد تأسّست سنة ١٣٥١ على يد واقفها الشيخ غلام حسين باهوش. ويتولّاها السيد إبراهيم مهاجريان، ونائبه السيد حسن مهاجريان، ومديرُها الداخليّ هو محمّد رضا رحماني. ولهذه المدرسة أكثر من دكّان، تستفيدُ المدرسةُ من إجارتها. تشتملُ هذه المدرسة على ٦٧ طالبًا و٨ مدرّسين. ودروسُها الرسميَّةُ هي دروسُ المقدّمات إلى مجلّدين من شرح **اللمعة**.

تؤمَّنُ شهريّةُ الطلّاب ومدخولهم من سهم الإمام. ويُشترَطُ لقبول الطالب في هذه المدرسة ما يلي:

١- أن يكونَ الطالبُ قد أنهى على الأقلّ الصف الخامس الابتدائيّ.

٢- تعريفٌ من أحد الأجهزة الثوريّة.

٣- شخصان يعرّفان عن الطالب.

٦- مدرسة مهديّه: تقعُ هذه المدرسةُ في شارع دانشگاه في زقاق شفق. وسنة ١٣٥٥ ش تأسّست على يد واقفها ومتولّيها المرحوم آية الله الشيخ محمّد رضا فاضل. وقد وُقفت لسكن طلّاب العلوم الدينيّة. وتؤمَّن تكاليفُها عن طريق مساعدات الناس والعلماء. ويُشتَرَطُ لقبول الطالب ما يلي:

١- توفُّرُ الحدِّ الأدنى من عدد الطلّاب لتشكيل حلقة درسيّة.

٢- تعريفٌ من إحدى الأجهزة المعتبرة.

٣- النجاحُ في امتحان الدخول.

٤- الالتزام بقوانين المدرسة.

يَصِلُ عددُ طلّاب المدرسة إلى ٥٠ طالبًا، وعددُ المدرّسين فيها إلى ٨. ويدرّسون ما يلي: اللّغة العربيّة، والإنجليزيّة، ونهج البلاغة، والتفسير، والرياضيّات، والمنطق، والمقدّمات. وتُقدّم وجبة الغذاء لطلّاب المدرسة.

٧- مدرسة حضرت صاحب الزمان عليه السلام**:** تقعُ هذه المدرسةُ في شارع سى مترى طلاب بالقرب من مسجد فقيه سبزواري. وقد تأسّست سنة ١٣٩٦ ق/١٣٥٥ ش لِسَكَنِ الطلّاب بواسطة الشيخ إبراهيم إمامي

زرنـدي. ويسكن في هذه المدرسة ٣٠ طالبًا، ويستفيدون من دروس الحوزة العامّة. وأمّا شهريّتُهم ومدخولُهُم فهو الشهريّةُ العامّةُ التي تقدّمها الحوزة. وتؤمَّن تكاليفُ المدرسة عن طريق إجارة بعض الدكاكين الواقعة إلى جانب المسجد.

٨- مدرسة حضرت مهدي عليه السلام: تقعُ هذه المدرسةُ في كوى طلاب بلوار طبرسي. وقد تأسّست سنة ١٣٤٠ ش على يد واقفها السيد فراهاني - الذي هو أحد التجّار ـ لِسَكَنِ طُلّاب العلوم الدينيّة ودراستهم فيها. ويُشرف عليها الشيخ محمد إمامي زرندي. وتشتملُ هذه المدرسة على مكتبةٍ لها أمينٌ. وبرنامجُها الدراسيُّ يبدأ من مرحلة المقدّمات إلى شرح اللمعة من مرحلة السَّطح. وفيها ٧٥ طالبًا و٤ مدرّسين. وشهريّة طلّابها هي الشهريّة العامّة التي تقدّمها حوزة مشهد العلميّة.

٨- مدرسة امام محمّد باقر عليه السلام: تقعُ هذه المدرسة في شارع سى مترى كوى طلاب. وهي عبارةٌ عن ثلاثة طوابق مبنيّة على أرض العتبة الرضويّة. وقد تأسّست سنة ١٣٥٧ ش بواسطة واقفها ديّاني، بعد مساعدة جمع من الأفراد الخيّرين. وتؤمَّن تكاليفُ هذه المدرسة وشهريّةُ طلّابها من مكتب الأموال الشرعيّة للإمام الخمينيّ دَامَ ظِلُّهُ. ويُدرّس فيها: العلوم الدينيّة، ونهج البلاغة، والكلام، والمقدّمات، وعلوم اللغة، وموادّ السطح الرائجة في الحوزة. يُشترط للدخول فيها: أن يُنهِيَ الطَّالِبُ الصفَّ الثالثَ الابتدائيَّ، وأن يُحِبَّ التلبُّسَ بزيِّ العلماء، وأن يتخلَّقَ بالأخلاق الإسلاميّة، وأن يحصل على تعريفِ مؤسّستين ثوريّتين أو شخصَين معروفَين، والتعهّدُ بالتزام قوانين المدرسة. ويوجد في هذه المدرسة ١٨٠ طالبًا نشيطًا

يحبّون الدراسة الحوزويّة. وفيها برنامجٌ دراسيٌّ خاصٌّ. وهي تُعَدُّ من مدارس مشهد المتطوّرة.

١٠- مدرسة حجتيّه اصفهانيها: تقعُ هذه المدرسة في سوق سرشور. وقد تأسّست سنة ١٣٥٨ ش، ويُشرف عليها ويتولّاها السيد كمال فقيه إيماني، وينوب عنه السيد محمّد حسين رجائي. أغلبُ مدخولات هذه المدرسة تحصل من خلال أربعة دكاكين موقوفة إلى جانبها. ويوجد فيها: مديرٌ داخليٌّ وخادمٌ وإمامُ جماعة. ويسكنها ٧٧ طالبًا، يُقدِّم لهم المتولّي ١٠٠ تومان شهريًّا. وتحتوي على مكتبةٍ لها أمين. والدرس الوحيد الذي يُعقد فيها هو درس الشيخ حجّت هاشمي الذي هو من مدرّسي اللغة العربيّة في الحوزة العلميّة. ويُشترط لقبول الطالب في هذه المدرسة:

١- أن يكون عَزَبًا.

٢- أن لا يكون مِمَّن يسهرُ اللَّيلَ.

٣- أن يَلتَزِمَ بقوانين المدرسة.

٤- أن ينجَحَ في امتحان كتاب السيوطيّ.

١١- مدرسة الهادي: تقعُ هذه المدرسةُ عند مفترق طرق خسروي. وقد تأسّست سنة ١٣٥٨ ش بواسطة واقفها محمّد شهيدي ـ وهو أحد التجّار المحترمين في مشهد ـ. ويتولّاها السيّد حسين كوثري. وبناؤها قديم، وكان فيها ٣٢ طالبًا، وقد نقصت اليوم خمسة طلاب. ويُشترط للدخول إليها:

١- توفُّرُ الحدِّ الأدنى من عدد الطلّاب لتشكيل حلقة درسيّة.

٢- أن لا يكونَ الطالبُ ممّن يسهرُ ليلًا.

وشهريّةُ طلّابِها هي الشهريّةُ العامّةُ التي تعطيها حوزة مشهد العلميّة. ويديرُ أغلبَ مرحلة المقدّمات السيّد كوثري.

١٢- مدرسة امام حسن عسكرى عليه السلام: تقعُ هذه المدرسةُ في أوتستراد طبرسى. وقد تأسّست سنة ١٣٦٠ ش بواسطة واقفها ومتولّيها الحاج ابراهيم قادرى ـ وهو أحد التجّار المتدينين ـ. وقد وُقفت لأجل سكن الطلّاب ودراستهم فيها. ويُديرها السيّدُ جعفر الموسويّ. وتؤمّن تكاليفها من الواقف. ويَصِلُ عددُ طلّابِها إلى ٥٠ طالبًا، حيث يدرسون: أصولَ العقائد، والأخلاق، والحديث، وحفظ القرآن، ودروس اللغة العربيّة ومرحلة السطح. ويوجد فيها مدرّسان. ويُشترط للدخول إليها: تعريفٌ من أحد الأشخاص الذي لهم صلاحية ذلك، وأن يعرف الطالب القراءة والكتابة وقراءة القرآن الكريم.

١٣- مدرسة قائم عليه السلام: تَقَعُ هذه المدرسةُ في منطقة كوى طلاب على مفترق طرق سيلو. وقد أُجّرت سنة ١٣٦٣ ش للمشرف عليها السيّد ساجدي لِسَكَنِ الطلّاب ودراستهم فيها. تؤمَّن تكاليفُها وإجارتُها عن طريق مساعداتِ الناس. ويصل عدد الطلّاب فيها إلى الستين طالبًا، حيث يدرسون: التفسير، والعقائد، والمقدّمات إلى كتاب معالم الأصول. وشهريّة الطلّاب هي الشهرية العامّة التي تقدّمها حوزة مشهد العلميّة.

١٤- مدرسة حضرت امام حسين عليه السلام: تَقَعُ هذه المدرسةُ في السوق الكبيرة في زقاق مير علم خان. تأسّست سنة ١٤٠٤ ق/١٣٦٣ ش. وقد وقفها وتولّاها الشيخ حسين سيبويه. ويوجد فيها ٥٥ طالبًا وخمسة مدرّسين يدرّسون المقدمات والسُّطوح. شهريّةُ طلّابها هي الشهريّة العامّة

التي تقدّمها حوزة مشهد العلميّة. ولا يُشترط للدخول إليها إلّا النجاحُ في امتحان الدخول.

١٥- مدرسة خضراء: تأسّست هذه المدرسةُ بواسطة واقفها الشيخ مهدي نوغاني. وتقع في شارع توحيد (دروازقوچان). بناؤها قديم، وفيها ١٣ غرفة يسكُنُها ٣٥ طالبًا. لا يوجد شروطٌ خاصّةٌ للدخول إليها، بل يكفي النجاح في امتحان الدخول، وأن يكون لدى الطالب دافعٌ دينيٌّ للدراسة. شهريّةُ طلّابها هي الشهريّةُ العامّةُ التي تؤمّنها الحوزةُ العلميّة في مشهد.

[٢٩] الأفكار الإصلاحيّة:

تتناولُ الأفكارُ الإصلاحيّةُ جهتين في الحوزات العلميّة:

الجهة الأولى: هي إصلاحُ الوضع الدراسيّ وتنظيم الحالة العلمائيّة وضبطها.

والجهة الثانية: هي الأفكارُ الإصلاحيّةُ، وتطوّر الأفكار السياسيّة، وطرح المسائل الاجتماعيّة والسياسيّة.

أمّا الأفكارُ الإصلاحيّةُ المرتبطةُ بإنشاء تشكيلاتٍ جديدةٍ ومناسبةٍ لشأنيّة العلماء، فيطرحُها دومًا العلماءُ الإصلاحيّون. لكنّها مبتلاةٌ في مقام التنفيذ بموانعَ كثيرةٍ. فهي تبوءُ بالفشل بسبب سيطرة الفكرة الرجعيّة القائلة بأنّ «نظم العلماء في عدم النظم»، وبسبب عوامل أخرى.

أمّا الأفكارُ الإصلاحيّةُ والآراءُ السياسيّةُ وطرحُ المسائلِ السياسيّةِ والاجتماعيّةِ، فهي إحدى المحاور الأساسيّة عند العلماء المسؤولين. وعلى هذا الأساس، يجبُ على العلماء أن يُبدوا آراءَهُم في المسائل السياسيّة والاجتماعيّة والأمـور المرتبطة بمصير الناس، وأن يواجهوا الأنظمة

الاستبداديّة. ولحسن الحظّ، تجدُ أنّ كلَّ الحركات الدينيّة والسياسيّة والطالبة للحرّيّة تبدأُ عند العلماء والفقهاء، وتنشأ بذورها في الحوزات العلميّة، ثمّ تنتشر في المجتمع.

وتعودُ الفكرةُ السياسيّةُ في مجابهة النظام الطاغوتيّ إلى الزمن القديم، وقد كانت حاضرةً بين الطلّاب والحوزات العلميّة. ولطالما كان الطلّاب والعلماء حسّاسين جدًّا تجاه الأفكار التي تطرح ضدّ الإسلام، ويخوضون المواجهاتِ لأجل حفظ الفكر الإسلاميّ. والطلّاب الشباب المطّلعون على الفكر الإسلاميّ الأصيل ومصدره القرآنيّ والمستفيدون من الأفكار السياسيّة للعلماء العظام، يحملون على عاتقهم لواء محاربة الظلم متّكئين في ذلك على نهضة الإمام الحسين عليه السلام في عاشوراء. وهكذا كانوا يعبّئون الناس ضدَّ طواغيت زمانهم في المدن والقرى، ويهيّئونهم لمواجهتهم.

وهؤلاءِ الشبابُ المفعمون بالحماس وبعدم الاستسلام، كانوا يبثّون في الناس أفكارَهم السياسيّةَ الإسلاميّةَ القائلةَ بمحاربة الظلم وعدم الاعتماد على الظالمين، والمستقاة من الآيات القرآنيّة وروايات أهل بيت العصمة عليهم السلام. وكانوا يستفيدون من عشق الناس لأهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام للتأكيد على الحماسة والانتفاض. وعمل هؤلاء الطلّاب على تحريك الناس نحو الأهداف الإسلاميّة، ومناهضة الفكرة المشؤومة: «فصل الدِّين عن السياسة»، التي كانت على عهد الحكم الأمويّ والعبّاسيّ وسائر الظالمين.

ومن النماذج على الوعي السياسيّ ومواجهات العلماء في الحوزة العلميّة هو قيامُ الناس والحوزة العلميّة تَبَعًا للعلماء الكبار ـ كآية الله

الحاج حسين القمّيّ وآية الله الميرزا محمّد الكفائيّ ـ في فضح رضاخاني. وهذا ما أدّى إلى نفي آية الله القمّيّ وشهادة آية الله زاده الكفائيّ. مضافًا إلى أنّه استشهد في حادثة مسجد گوهرشاد القاسية بعضُ الطلّاب وجمع من الناس بتهمة الدفاع عن الإسلام. وهذا يدلُّ على أوج صحوة الثورة الإسلاميّة بين الشعب المسلم.

وفي أحداث إيران الأخيرة والنهضة المشرّفة للإمام الخمينيّ منذ ١٣٤١ وما بعد، تحوّلت المدارس العلميّة في مشهد إلى مراكز لمقاومة النظام الطاغي. فنُفي وسُجن كثيرٌ من الطلّاب والمفكّرين. وعلى الرَّغم من أنّ جهازَ الساڤاك البهلويّ قد بذل كلَّ قواه، إلّا أنّه لم يستطع أن يُطفئ هذه الشعلة المقدّسة.

ووصلت المواجهة بين عمّال الساڤاك والطلّاب إلى أوجها عندما قام طلّاب المدارس العلميّة في مشهد سنة ١٣٥٤ واصطدموا مع الساڤاك الذين كانوا يريدون أسر مجموعة من الطلّاب الثوريّين وإخضاعهم لأشدّ العذاب الروحيّ والجسديّ. وفي هذه الأحداث أُسِر العالم الكبير الشهيد هاشمي نژاد والشيخ واعظ الطبسيّ ومجموعة أخرى من الطلاب. ونُفي السيد عليٌّ الخامنئيُّ من مشهد إلى سيستان وبلوشستان بعد أن كانت له موقعيّةٌ اجتماعيّةٌ كبيرةٌ عند الناس والعلماء.

وقد أثّرت مواجهة العلماء على الطبقات الاجتماعيّة المختلفة، لا سيّما على الشباب، ممّا دعا نظامَ الشاهِ الظالم إلى أن يقوم بردّ فعل قاسٍ على ذلك، حيث أعلن أنّ «المدارس العلميّة قد تبدّلت إلى مراكز لمحاربة النظام»، فدمّر كثيرًا منها وشرّد طلّابها بحجّة أنّه يوسّع من أطراف مستديرة الحرم الرضويّ المطهّر، وهو يظنّ أنّه يقوّي بذلك شوكة

الحكومة. لكنّه لم يستطع من خلال كلّ ما فعله ـ من تدمير المدارس وتعذيب الطلّاب وأسرهم وسجنهم ونفيهم ـ أن يُطفئ لهيبَ هذا الغضب المقدّس، وأن يتسلّط على الحوزة العلميّة. بل ازداد الطلّابُ إصرارًا على المواجهة بناءً على نهج ولاية الفقيه واتّباعًا للإمام الخمينيّ، إلى أن انتصر الإسلامُ على الكفر، واستقرَّ في النهاية نظامُ الجمهوريّة الإسلاميّة.